عدالة السماء

أجاثا كريستي



القصص العالمية للجميع

عدالة السماء

اجاثا كريستي

ترجمة
د. فاروق خواتمي

منشورات
المكتبة الحديثة - بيروت
دار الشرق العربي - بيروت

أجاثا كريستي

بقلم أجاثا كريستي

ولدت في مقاطعة ديفونشير بانجلترا ، وقضيت طفولة سعيدة الى اقصى درجات السعادة ، تكاد تكون خلوا تماما من اعباء الدروس والاستذكار ، فانفسح لي الوقت كي أتجول في حديقة بيتنا الواسعة واسبح مع الخيــال ما شاء لي الهوى

والى والدتي يرجع الفضل في اتجاهي الى الكتابة والتاليف ، فقد كانت سيدة ذات فتنة ، ساحرة الشخصية ، قوية التاثير ، وكانت تعتقد اعتقادا واسعا ان اطفالها قادرون على كل شيء ٠٠ ففي ذات يوم ـ وقد اصبت ببرد شديد الزمني الفراش ـ قالت لي :

ـ خير لك ان تقطعي الوقت بكتابة قصة قصيرة وانت في فراشك

ـ ولكني لا اعرف ٠٠

ـ لا تقولي لا اعرف ، فانك « طبعا » تعرفين ٠٠٠ حاولي فقط وسترين

وحاولت ، ووجدت متعة في المحاولة ، فقضيت السنوات القليلة التالية أكتب قصصا قابضة للصدر ، يموت معظم ابطالها ، كما كتبت مقطوعات من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا يختلطون ويختفون لشدة الزحام.ثم خطر لي ان أكتب رواية بوليسية، ففعلت واشتد بي الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت ٠٠٠ وكنت حين كتبتها متطوعة في مستشفى تابع للصليب الاحمر ابان الحرب العالمية الاولى

واذا سالتموني عن ميولي ، فاعلموا اني احب الأكل وأكره طعم كل مشروب يدخل في صناعته الكحول ، وانني حاولت التدخين مرارا فلم أجد ما يغريني بالمداومة عليه ٠ ولكني اعبد الازهار ، واهيم بالبحر وأحب المسرح ، وأكره الافلام النــاطقة ، ويعجز تفكيري عن متابعتهـا ، وأكره الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن

وهوايتي الســفر ، ولا ســـيما في بلدان الشرق الادنى لانني أحب الصحراء حبا جما

اهم شخصيات الرواية

هيركيول بوارو « Hercule Poirot » المخبر السرى الخاص

آمياس كريل « Amyas Crale » الفنان المتقلب

كارولين كريل « Caroline Crale » زوجة الرسام المتهمة بالقتل

كارلا لامرشانت « Carla Lemarchant » ابنة كارولين والرسام كريل

جون رايترى « John Rattery » خطيب كارلا لامرشانت

فيليب بليك « Philip Blake » سمسار بالبورصة والصديق الوفى للرسام كريل

ميرديث بليك « Meredith Blake » من الاعيان والشقيق الاكبر لفيليب بليك

الزا جرير « Elsa Greer » غانية لعوب واسعة الثراء

انجيلا وارين « Angela Warren » الأخت غير الشقيقة لكارولين كريل

سيسيليا ويليامز « Cecilia Williams » المربية الخاصة لانجيلا وارين

مفتش البوليس هيل « Superintendent Hale »

الفصل الأول

الحسناء كارلا

نظر هيركيول بوارو في شيء من الفضول والاعجاب الى الغادة الحسناء التي راحت تقترب من مكتبه

لم يكن في الرسالة القصيرة التي بعثت بها اليه شيء واضح ، مجرد رجاء بأن يحدد لها موعدا للمقابلة • ولا شيء غير هذا الا التوقيع باسمها : كارلا لامرشانت

وها هي ذي تأتي اليه بنفسها في الموعد المحدد : طويلة،رشيقة، في أوج الشباب ، في نحو الثانية والعشرين ، جميلة ، أنيقة ، تنم ثيابها عن موفور ثرائهـا ، وينبىء تألق عينيها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة

لقدكان هيركيول‌بوارو ـ قبل دخولها ـ يشعر بدبيب‌الشيخوخة اما الآن ، وهي تقبل نحوه ، فانه ينتفض بقوة الحياة

وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا ، كان يشعر بعينيها الرماديتين تمعنان النظر الى وجهه ، وكأنما تريد الفتـاة أن تنفـذ الى أعمق أعماقه

وجلست الى المكتب ، وتقبلت لفافة التبغ التي قدمها اليهـا ، وبعد اشعالها ، راحت تدخن في هـدوء دقيقة أو اثنتين ، وهي لا تزال تمعن النظر اليه في اهتمام وتفكير

وقال بوارو في رفق :

ـ نعم ، ينبغي أولا أن تتأكدي

فقالت في صوت المفاجأ :

ـ أوه ، أرجو المعذرة ، ماذا ؟

ـ انك تتساءلين في نفسك : هل أنا حقا الرجل البارع في كشف غوامض الجرائم ، أم مجرد طبل أجوف ؟

وابتسمت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقي الرقيق :

ـ نعم ، نعم هذا صحيح ، فالواقع انك يا مسيو بوارو لا تبدو في الصورة التي كنت أتخيلها عنك !

ـ وعجوز أيضا ؟ أليس كذلك ؟ أكبر سنا مما كنت تتوقعين !

ـ نعم انني ، كما ترى ، صريحة . والواقع اني أريد أن أعهد بمهمتي الى خير من يصلح للقيام بها

ـ اطمئني من هذه الناحية ، فاني الرجل المنشود

ـ يبدو أنك لا تعترف بشيء اسمه التواضع يا مسيو بوارو !

ـ انني أعترف بالحقائق فقط

ـ حسنا ، لسوف أعتمد عليك رغم المظاهر !

فقال بوارو بهدوء :

ـ ان الانسان لا يحتاج دائما الى استعمال عضلاته في الابحاث الجنائية ، بل انني أحيانا لا ألجأ الى الانحناء على الارض ، وشم التراب ، وقياس الآثار ، واختبار ميل العشب لأتعرف على اتجاه السير ، وانما يكفي في كثير من الاحيان أن أجلس ، وأفكر

ثم نقر على رأسه الصلعاء المستديرة كالكرة ، وأردف قائلا :

ـ هذه هي التي تقوم بكل ما ينبغي القيام به

ـ انني أعرف ، وهذا ما حفزني للحضور اليك ، فاني أريد أن تقوم لي بمهمة عجيبة

ـ لقد أثرت فضولي

ـ ان اسمي ليس « كارلا » وانما كارولين ، على اسم أمي ... لقد سمتني باسمها ، وأما « لامرشانت » فهو ليس اسم أبي ، ان أبي هو أمياس كريل

فقطب بوارو جبينه مفكرا ، ثم قال :

ـ أمياس كريل .. أمياس كريل ، يخيل الي أني أعرف هذا الاسم

ـ انه رسام معروف ، ويؤكد بعض المعجبين به أنه من أكبر

الرسامين الفنانين ، وانا اعتقد هذا أيضا

ــ نعم ، نعم أمياس كريل ، ولكنني احاول أن أتذكره بمناسبة أخرى

ــ لقد مات قتيلا ، واتهمت أمي كارولين بقتله !

ــ آه تماما ، اني أتذكر الآن ، لقد كنت يومذاك في الخارج ، واعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال

ــ ستة عشر عاما !

وأردفت الفتاة قائلة ، بوجه شاحب ، وعينين زاد بريقهما :

ــ هل تفهم ؟ لقد حوكمت أمي ، وصدر الحكم بادانتها ، ولكنها لم تشنق بسبب وجود ظروف مخففة أحاطت بالحادث ، وهكذا عدل الحكم الى السجن المؤبد ، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام ، ومن ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و ...

ــ ولكن ؟!

وضغطت كارلا يديها بعضهما ببعض ، ثم قالت بصوت متهدج، ولكنه مفعم بالعزم :

ــ ارجو أن تدرك تماما موقفي من هذا الامر كله ، كنت عند وقوع الحادث ، في الخامسة من عمري ، أي كنت أصغر من أن أدرك تماما ما يجري حولي ، انني أتذكر أبي وامي ، طبعا ، وأتذكر أني غادرت البيت فجأة الى الريف ، وأتذكر خراف المزرعة السمان ، وزوجة المزارع ، وأن الجميع كانوا جد شفيقين بي ، وأتذكر بوضوح الطريقة العجيبة التي كانوا ينظرون بها الي .وكنت أعرف ، كطفلة ، ان شيئا ما قد حدث ، ولكني لم أكن أعرف طبيعة هذا الشيء

ثم اردفت قائلة بعد برهة صمت وجيزة :

ــ ثم اتذكر أني ركبت باخرة في البحر ، وكانت الرحلة مثيرة ، استغرقت بضعة أيام ، وعندما وصلت الى كندا ، استقبلني العم سيمون ، وعشت معه ، ومع زوجته العمة لويز ، وكنت كلما سألتهما عن أبي وأمي ، قالا أنهما سيلحقان بي سريعا . وعلى مر الايام نسيت أمرهما ، بعد ان عرفت ، دون أن يخبرني أحد ، أنهما ماتا . وعشت سعيدة في كندا ، فقد كان العم سيمون والعمة لويز

انموذج الطيبة والشفقة والحب • وذهبت الى المدرســـة ، وتعرفت بصديقات كثيرات ، ونسيت ، تقريباً،كل شيء عن حياتي السابقة، وأنا دون الخامسة ، وحتى اسمي ، أصبح كارلا لامرشانت بدلا من كارولين كريل

ثم نظرت كارلا في وجه بوارو بامعان برهة ، واســـــتطردت تقول :

ـ إنظــر الى وجهي • انك ، حين تراني في الطـريق ، أو وأنا أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة ، ستشير الى وتقول : « هذه فتاة جمعت بين الجمال والمال والشباب ، وليس لها في هـذه الدنيا ما يثقل عليهـا أو يحز في نفسها ، وهــذا هو الواقع الى حــد ما ، فأنا شابة ، وجميلة ، وثرية ، وليس في الدنيا فتاة اتمنى ان أكون مثلها ، ولكنني ، مع هذا كله ، بدأت أسأل عن أبي وأمي : من هما ؟ وماذا فعــلا ؟ وكيف ماتا ؟• ولم يكن ثمة مفر من أن أعـرف في النهاية كل شيء

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة ، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:

ـ ولم يسع العم سيمون والعمة لويز الا أن يخبراني بالحقيقة ، كل الحقيقة ، لاني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، أصبحت حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي ، ولانه أصبح من حقي ، وأنا في هذه السن ، أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي أمي وهي على فراش الموت • ومن هذا الخطاب ، علمت الحقيقة الرهيبة : علمت أنها اتهمت بقتل أبي ، وقدمت للمحاكمة ، وصدر عليها الحكم بالسجن المؤبد ، ويا لها من مفاجأة قاسية

وتوقفت برهة أخرى ، ثم عادت تقول :

ـ وهناك شيء آخر ينبغي أن أصارحك به ، فأنا أتبادل الحب مع شاب أعتبره مثلي الأعلى في الحياة ، ورغم أن الجميع لا يعترضون على زواجنا ، فقد طلبوا مني ارجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمري ، وقد عرفت الآن لماذا !

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف :

ـ وهل عرف خطيبك الحقيقة ؟

ـ نعم ، طبعا ، أخبرته بها كلها

ـ وما رأيه ؟ ماذا كان رد الفعل فى نفسه ؟

ـ قال : « ان الحب الحقيقى الذى يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضى ، وانما المهم هو المستقبل »

ثم مالت الى الامام وأردفت تقول :

ـ اننا لازلنا مخطوبين ، ولكننى أفكر ، بل أنوى ، أن افسخ الخطبة ، اذا لم أتأكد من براءة أمى نعم ، لا تعجب يا مسيو بوارو ، لسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة أمى ، والمهم الآن ان أؤكد لك انى لا أستطيع أن أتزوج ، وأنجب أطفالا ، وأعيش طول عمرى فى فزع ، حتى لا يعرف أطفالى حقيقة مأساة جديهما لأمهما • اننى لا استطيع أن أحتمل ان يشار اليهم على أنهم أحفاد السيدة التى قتلت زوجها

فقال بوارو :

ـ ألا تعرفين أنه لا يوجد الانسان الذى يستطيع أن يزعم أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا فى حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل ؟

ـ انك لا تدرك ما يدور بنفسى ، حقا انه لا يوجد مثل هذا الانسان ، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين واثبات كما اعرفها انا عن أبوى ، وكما سيعرفها أولادى عن جديهما • وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسى ، من أنى رأيت جون ، خطيبى ، يختلس النظر الى ، بعد أن عرف هذه الحقيقة ، فى شىء من الحيرة والتوجس ، فكيف اذا تزوجنا ، ثم حدث بيننا هذا الخصام الذى يحدث عادة بين الازواج ، ثم أرسل الى هذه النظرة الزاخرة بالحيرة والتوجس • أقول كيف يكون موقفى اذا رأيته ينظر الى ، وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلت أمى أبى ؟

ـ كيف قتل أبوك ؟

ـ بالسم

ـ آه ، انك على حق

ـ شكرا لله انك أدركت حقيقة مشاعرى • لقد أدركت أن هذا الأمر يهمنى ، ويؤثر فى مستقبلى ، ومن ثم لا تحاول أن تواسينى بعبارات جوفاء ، أو أن تقنعنى بأن هذه مسألة عفى عليها الزمن

ـ انني في الواقع مقدر تماما حرج مركزك يا مس لامرشانت ولكنني لا أعرف على وجه التحديد ماذا تريدين مني

ـ اريد أن اتزوج جون ، وأنوي أن أتزوجه ، وأن أنجب منـــه على الاقل ولدين وبنتين،والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا...

فابتسم بوارو وقال :

ـ انني تحت أمرك ، ولكن كيف السبيل ؟

ـ اسمع يا مسـيو بوارو ، انني أريد أن أكلفك باعادة البحث والتحرى لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبي ، ولسوف أدفع لك كل ما تريد من مال

ـ ولكن ...

ـ انني أعرف أن جريمة القتل ، هي جريمة القتل ، سواء وقعت اليوم ، أو منذ عشرين عاما

ـ ولكن يا آنستي العزيزة ، أريد أن ...

ـ أوه ، انتظـــر برهة يا مسيو بوارو ، فان في المسألة نقطة هامة ، ينبغي أن تعرفها

ـ وما هي ؟

ـ هي أن امي بريئة

ـ لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها ، برغم كل ...

ـ لا لا ، ليس للعاطفة دخل في هذا الشعور ببراءة أمي يا مسيو بوارو ، وانما هو خطابها هذا ، لقد تركته لي قبل وفاتها، واستلمته حين بلغت الحادية والعشرين من عمرى ، وهي لم تكتبه الا لغـرض واحد وهو اقناعي تماما ببراءتها ، ولقد أقسمت لي فيــه ، وهي على فراش الموت ، أنها بريئة ، وانني يجب أن أومن ببراءتها

فقرأ بوارو الخطاب ثم نظر في شيء من التفكير ، ثم قال :

ـ هكذا كلهم يقولون ذلك

ـ لا ، لا . ليست أمي من النـوع الذى يكذب ليريح ضـــمير الغير . ان الاطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد أنهم يتذكرونها ، ومن بين ذكرياتي القليلة عن امي ، أنها من النوع الذى لا يكذب أبدا ، كان الصـــدق طبيعة فيها ، ومن ثم فاني أتذكـــر اني كنت شديدة الثقة بها وأنا طفلة ، ولا زلت حتى الآن أشـعر



« لا لا ، ليس للعاطفة دخل فى هذا الشعور ببراءة امى يامسيو بوارو، وانما هو خطابها هذا ، لقـــد تركتـه لى قبـل وفاتهـا . . . »

بهذه الثقة التي لا حد لها ، ومن ثم اذا قالت انها لم تقتل أبي ، فهي لم تقتله مطلقا ، انها ليست من النوع الذي يقسم كذبا وهو على فراش الموت ، مهما يكن السبب

وأومأ بوارو برأسه في بطء ، بينما استطردت كلارا تقول :

ـ انني أستطيع أن أتزوج بجون وأنا مطمئنة الى براءة أمي ، ولكن هو ، ما شعوره ؟ كيف أقنعه ببراءتها ، كيف أجعله لا ينظر الى في خوف ، اذا اختلفت معه لأي سبب بعدالزواج ؟انني أريد أن أثبت له بالدليل الحاسم أنها بريئة ، وأنه ليس هناك ما يدعوه الى أن ينظر الى هذه النظرة الخائفة في مستقبل الايام

ـ لنفرض أن أمك بريئة حقا ، كيف يمكن اثبات براءتها ، بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما ؟

ـ أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير ، وأعرف أيضا انه لن يكون في وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة

فابتسم بوارو وقال :

ـ انك تنفخين في بقوة !

ـ لقد سمعت عنك ، وسمعت عن الاعمال الباهرةالتي قمت بها، وكيف قمت بها ، سمعت انك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس في مكتبك بعد أن نوضع أمامك كل الملابسات المحيطة بها ، أي دون أن تحتاج الى فحص أعقاب السجائر ، أو قياس آثار الاقدام ، أو شم تراب الارض . ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا في بيت أبي أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة

ـ حسنا يا آنسة ، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الاحياء،وأعيد البحث والتحرى ، وأرجو أن أصل الى الحقيقة

فلما نهضت وهي تشكره ، قاطعها قائلا :

ـ انني سأبحث عن الحقيقة أيا كانت يا مس لامرشانت هل تفهمين ؟

ـ نعم ، انني أريد الحقيقة الخالصة ، فاذا ثبت لي ، يقينا ، ان أمي هي القاتلة ...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

ـ يجب أن أدفع ثمن الجريمة ، وأعتزل الحياة في دير لأدعو لها بالرحمة والغفران

الفصل الثانى

مفتش البوليس

قال مفتش البوليس ، هيل ، وهو ينفث دخان بيبته :

ــ هذا عجيب يا مسيو بوارو ، كيف يمكنك أن تعاود البحث والتحرى لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ؟

ــ اننى أعرف انه أمر غير مألوف ، ولكن ...

ــ ولكن ، لماذا كل هذا العناء ؟

ــ من أجل البحث عن الحقيقة ، ومن أجل كلارا ومستقبلها . ان حياتها الآن بين يدى ، فاما ان أتيح لها الفرصة لان تتزوج وتنعم بالحياة كما ينبغى ، واما أن تعتزل هذه الحياة فى دير

فهز مفتش البوليس كتفيه وقال :

ــ انك رجل نابغ يا مسيو بوارو ، فما ضرك لو انك اخترعت لها قصة قائمة على سلسلة من التحريات الوهمية لاقناعها ، أعنى ، لاثبات براءة أمها

ــ انك لا تعرف كلارا

ــ لا لا ، مهما تكن قوة شخصيتها ، وحدة ذكائها ، فانها لن تستطيع ان تقف أمام رجل موفور التجارب مثلك

فرفع بوارو رأسه فى تحد وقال :

ــ أيا كان الأمر يا مستر هيل ، فانى لم اتعود أن أبالغ فى الكذب الى هذا الحد ، لاسيما اذا كان فى الأمر مكافأة ضخمة تبلغ خمسة آلاف جنيه لاثبات الحقيقة ، الحقيقة الخالصة

ــ اننى آسف يا مسيو بوارو ، لم أكن أقصد جرح مشاعرك ، اننى فقط مشفق على هذه الفتاة الحسناء البريئة التى وهبتها

الطبيعة كل شيء ، وتوشك هي أن تحرم نفسها من كل شيء . انها مأساة

ـ الآباء يأكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

ـ هذا صحيح . ولكن ، اية حقيقة تريد اثباتها ، بعد أن ثبتت فعلا منذ ستة عشر عاما ، وصدر الحكم ، ولولا الظروف '' خفة ، لماتت كارولين كريل على حبل المشنقة

فقال بوارو بهدوء .

ـ ان حديثك هذا يا مستر هيل له أكبر الأثر في نفسي . فانا اعرف أنك ، طول حياتك ، رجل مستقيم شريف جاد ، وأرجو أن تخبرني بصراحة : ألم يخامرك الشك ، أدنى الشك في ادانة مسز كريل ؟

فأسرع المفتش يقول :

ـ مطلقا يا مسيو بوارو ، ان جميع الأدلة . والقرائن ، والاثباتات ، وشهادات الشهود . كانت تشير اليها

ـ هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي توافرت على ادانتها ؟

ـ مؤكد . فمنذ أن بلغت رسالتك بخصوص هذا الأمر ، وأنا اراجع سجل الجريمة ، واضع العلامات والاشارات تحت الحقائق الواضحة

ـ شكرا جزيلا يا صديقي ، انى أشد ما أكون شوقا الى سماع هذه الحقائق

فتنحنح المفتش هيل ، ثم قال فى لهجة جادة :

ـ فى تمام الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر ، اتصل الدكتور فوسيت تليفونيا بالمفتش كونوى ، واخبره أن المدعو اميـاس كريل مات فى قصره بألدربرى ، وان الظروف المحيطة بالوفاة ، كما ذكرها المستر فيليب بليك صديق المتوفى ، واحد ضيوفه ، تحتم وضع الامر بين أيدى رجال البوليس ؛ ومن ثم صحب المفتش كونوى السرجنت رودى وطبيب الصحة ، وأسرعوا الى ألدربرى ، وهناك مضى بهم الدكتور فوسيت فورا الى جثة المتوفى التى لم يحركها احد من موضعها ، وكان المستر كريل ، قبيل وفاته ، يرسم فى حديقة

صغيرة مقفلة تابعة لقصره ، تسمى حديقة البحر ، لانها تطل من مرتفع ، على البحر ، وتقع على مسيرة اربع دقائق من القصر ، ولم يكن المستر كريل قد ذهب الى القصر ليشترك فى تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه ، لانه اراد أن يرسم بعض الظلال والاضواء على لوحته فى تلك الساعة من النهار قبل ان تميل الشمس نحو المغيب . ومن ثم بقى بمفرده ، فى حديقة البحر ، يرسم . ولم يكن فى هذا ما يدعو الى العجب ، لان المستر كريل لم يكن يهتم بمواعيد طعامه اذا تعارضت مع انهماكه فى الرسم . وكان يكتفى فى مثل هذه الحالات ببعض الشطائر ، ترسل اليه . ولكنه ، كان يفضل ، عادة ، أن يبقى وحيدا لا يزعجه أحد . وكان آخر من رآه حيا هما مس الزا جرير « ضيفة بالمنزل » والمستر ميرديث بليك « جار وصديق » وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر وذهب الى القصر ، حيث اشتركا مع بقية الضيوف فى تناول طعام الغداء . وبعد الطعام ، قدمت للجميع القهوة فى الشرفة الكبيرة ، وفرغت مسز كريل من شرب قهوتها ، وقالت انها ستذهب الى حديقة البحر لترى ماذا يفعل كريل ، زوجها ، ونهضت المس سيسيليا ويليامز — المربية — معها وصحبتها فى الطريق الى حديقة البحر قائلة انها ستبحث عن الصديرية الصوف الخاصة بتلميذتها انجيلا وارين ، الاخت غير الشقيقة لمسز كريل ، وكانت المربية تعتقد ان انجيلا تركت صديريتها على شاطىء البحر

وسارت الاثنتان معا فى الطريق الضيق المتعرج الذى تحف به الاشجار ، حتى وصلتا الى الباب المفضى الى حديقة البحر . ويمكنك عندئذ أن تدخل الى الحديقة ، او أن تستمر فى الطريق الضيق حتى تصل الى الشاطىء . ودخلت مسز كريل الحديقة ، واستمرت مس ويليامز فى سيرها ، ولكنها لم تلبث ان عادت مسرعة حين سمعت صراخ مسز كريل ، ولما دخلت الحديقة بدورها رأت المستر كريل متهالكا على المقعد الخشبى الطويل ميتا !

والحت عليها مسز كريل أن تسرع بالعودة الى القصر والاتصال تليفونيا بطبيب ، وفيما كانت مس ويليامز فى طريقها الى القصر ، التقت بالمستر ميرديث ، فعهدت اليه بالقيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم أسرعت عائدة الى المسز كريل ، وهى تشعر انها احوج ما تكون

الى وجود احد بجانبها فى هذا الظرف ، وحضر الدكتور فوسيت بعد ربع ساعة ، وادرك ، من اول نظرة ، ان كريل مات منذ فترة غير وجيزة . وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحـــدة والساعة الثانية بعد الظهر . ولم يكن هناك ماينم عن سبب الوفاة . لا اصابة ، ولا جراح ، ولا آثار اختناق ، ورغم هـــذا ، فقـــد اشتبه الدكتور فوسيت فى سبب الوفاة لانه يعـرف أن كريل كان يتمتع بصحة جيدة ، ولم يكن يشكو من اى مرض او ضعف . ولهذا قرر أن يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة ، وعندئذ أدلى المستر فيليب بليك الى الدكتور ببعض البيانات التى جعلته يضع الامر بين ايدى رجال البوليس

وتوقف المفتش هيل برهة ، وتنفس بعمق ، ثم عاد يقرأ ، وكأنه يبدأ الفصل الثانى ، فقال :

ــ وبطبيعة الحال اعاد المستر فيليب بليك أقواله على مســـامع المفتش كونوى ، فقال ، اى فيليب بليك ، انه تلقى فى الصباح مكالمة تليفونية من أخيه ميرديث بليك ، صاحب ضيعة هاندكروس ، الواقعة على مسافة ميل ونصف ميل من قصر كريل ، وكان المستر ميرديث كيماليا هاويا ، أو على الاصح ، أحد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية « عيربالست » . وعندما دخل المستر ميرديث بليك فى هذا الصباح الى معمله الخاص ، لاحظ ، لدهشته ، أن الزجاجة المحتوية على مادة الكونين « المخدر السام » ، ناقصة جدا ، بينما كانت ممتلئة تماما فى اليوم السابق . ولما ازعجته هذه الحقيقة ، اتصل تليفونيا بأخيه فيليب بليك ، الذى كان ضيفا على كريل فى قصره واخبره بهذا الامر ، والتمس منه النصيحة فيما ينبغى أن يفعل . وطلب فيليب من اخيه أن يحضر فورا الى قصر آلدربرى ليتباحث معه فى هذا الامر . وقد سار هو ــ فيليب ــ ليلتقى بأخيه فى الممر المؤدى الى القصر ، ثم عاد معه الى القصر وهما يتحـــدثان فى هذا الامر دون أن ينتهيا الى نتيجة ، فتركاه ليستأنفا الحديث فيه بعد طعام الغداء

« اما الحقائق التى وصل اليها المفتش كونوى ، بعـــد التحريات والابحاث اللازمة فهى : بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة ، سار خمســـة أشخاص من قصر آلدربرى لزيارة المستر ميرديث فى منزله

بضيعة ماندكروس ، وهؤلاء الخمسة هم : مستر ومسز كريل،انجيلا وارين ، مس الزا جرير ، مستر فيليب بليك . وفى خلال الفترةالتى قضوها هناك ، القى عليهم المستر ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر الكونين من أعشاب طبية خاصة ، وعن قوة مفعوله ، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم انه ثبت طبيا أن الجرعات القليلة جدا منه ، تشفى من السعال الديكى والربو . واخيرا قرأ لهم فصلا مؤثرا عن موت سقراط بعد أن وضع فى كأسه قطرات من هذا المخدر السام بالذات »

ومرة اخرى توقف المفتش هيل عن القراءة ، ثم راح يحشو غليونه قبل أن يبدأ فى قراءة الفصل الثالث من المأساة :

ـ ووضع الكولونيل فرير ، مدير البوليس ، هذه القضية بين يدى وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين . وذلك رغم أن هذا العقار لا يكاد يترك أثرا يدل عليه فى جسم الضحية ، ولكن الاطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الاثر فى جسم القتيل . وقد قرر هؤلاء الاطباء أن المخدر السام دس للمجنى عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث ، وكان أمام المستر كريل ، على منضدة صغيرة ، كأس وزجاجة بيرة فارغتين . وثبت من تحليل البقايا الموجودة بهما أنه لا يوجد اثر للكونين فى زجاجة البيرة ، ولكن الاثر موجود فى الكأس الفارغة . وقد علمت من تحرياتى أنه برغم وجود زجاجات بيرة وكؤوس فى خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب المستر كريل اذا أحس بالظمأ ، برغم هذا ، فقد ثبت أن المسز كريل فى ضحى هذا اليوم بالذات حملت زجاجة بيرة من ثلاجة القصر وذهبت بها الى زوجها ، حيث كان منهمكا فى رسم لوحة لمس الزا جرير ، التى كانت جالسة على سور الحديقة ، فى وضع خاص للرسم

وفتحت مسز كريل الزجاجة ، وملأت منها الكأس ، ووضعت الكأس فى يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم . وقد شرب هو ـ كعادته ـ الكأس فى جرعة واحدة ، ثم بدأ الامتعاض على وجهه وهو يعيد الكأس الى المنضدة ، ويقول : « كل شىء فى فمى اليوم مر » . وعندئذ ضحكت المس الزا جرير ، وقالت له : « لابد أن الكبد عندك متعب » واجاب هو عليها بقوله : « على كل حال هذه البيرة مثلجة »

وتوقف هيل عن الحديث ، فقال له بوارو :

ـ كم كانت الساعة عندما حدث هذا ؟

ـ في نحو الحادية عشرة والربع

واستطرد المفتش هيل في حديثه عن الجريمة قائلا :

ـ وظل المستر كريل منهمكا في عمله ، وقد ذكرت المس الزا جرير انه بعد فترة وجيزة من شرب البيرة ، بدأ يشكو من مصلب لطرافه ويقول انه لابد موشك على المرض بالروماتزم ، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعتريهم ، ولهذا السبب ، ظل متحاملا على نفسه ، ثم طلب من الزا ميرديث في ضيق أن يدعاه بمفرده ويذهبا لتناول طعام الغداء . وهكذا ترك بمفرده . وليس من شك في انه ، بعد ذهابهما ، تهالك ليستريح ، ولا شك ايضا ان الشلل العضلي قد سرى في جسده عندئذ كما قرر الاطباء . وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد ، وكانت النتيجة انه مات أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء

وصمت المفتش هيل كأنما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة ، ثم عاد يقول :

ـ والآن لنستعرض الحقائق التالية ، التي اثبتتها التحريات الدقيقة : في اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين مس الزا جرير ومسز كريل ، وذلك عندما أعلنت مس الزا ، بجراة ، انها قررت الزواج من المستر كريل ، وانه اتفق معها على هذا ، وردت عليها مسز كريل قائلة أن هذا لن يحدث ، وأن مس الزا واهمة فيما تزعم ، وعندئذ اقبل مستر كريل الى الغرفة ، فالتفتت اليه زوجته وقالت له :

ـ هل قررت ، حقا ، يا امياس ان تتزوج بالزا ؟

وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه بوارو ، مما جعله يقول للمفتش هيل :

ـ هه . وبماذا أجاب كريل على هذا السؤال ؟

ـ يبدو انه استدار الى مس الزا وهتف بهما غاضبا : « ماذا تقصدين بحق الشيطان من الافضاء بهذا السر ؟ الا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام » . وعندئذ قالت مسز كريل لزوجها :

« اذن فقد اتفقتما على الزواج فعلا ؟ » فاشاح زوجها بوجهه وغمغم بكلمات غامضة ، فعادت زوجته تقول له : « لماذا لاتجيب اليس من حقي ان اعرف ؟ » فهز كتفيه وقال لها : « نعم هــــذه هى الحقيقة ، ولكنى غير مستعد للمناقشة الآن » ثم غادر الغرفة مسرعا ، بينما قالت مس الزا جرير لمسز كريل انها تريد منها مواجهــــة الحقيقة بشجاعة ، وانها شخصيا ، ترجو أن تظل ، اى مسز كريل ، صديقة لزوجها بعد طلاقها منه

وقال بوارو :

ــ وماذا قالت مسز كريل عندئذ ؟

ــ قال الشهود انها ضحكت وقالت : « انك لن تتزوجي بأمياس الا بعد وفاتي » ثم توجهت الى باب الغــــرفة ، ولكن مس الزا هتفت بها : « ماذا تعنين يا مسز كريل » فنظرت اليها مسز كريل قائلة : « اعنى انى ساقتل امياس قبل أن اتركه لك »

وتوقف المفتش هيل عن الحديث ، وقال بوارو :

ــ اعتراف خطر ، من سمع هذه العبارات ؟

ــ كان بالغرفة مع مس الزا ومسز كريل ، المستر فيليب بليك ، ومس ويليامز المربية ، ولا شك أن الموقف بالنسبة لهما كان بالغ الحرج

ــ وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الاخر فى هــــذا الموضوع ؟

ــ نعم .. بقدر ما يمكن ان يتفق شاهدان رأيا أو سمعا شيئا واحدا فى وقت واحد ، فان كلا منهما يصف ما رأى أو ســـمع بطريقته الخاصة

واستطرد المفتش هيل فى حديثه عن المأساة فقال :

ــ وامرت باجراء تفتيش دقيق فى انحاء القصر . وقد عثرنا فى غرفة نوم مسز كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب القديمة فى اسفل درج خزانة الملابس ، وكانت زجاجة فارغــــة من زجاجات عطر الياسمين ، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد غير بصمات مـــسز كريل ، اما تحليل البقايا الموجودة بهـــا فقـــد اثبت ان بها آثارا بسيطة لعطر الياسمين ، وآثارا واضحة قـــوية

لمحلول هيدروبروميد الكونين .. وحذرت مسز كريل واطلعتها على الزجاجة ، فاجابت فورا انها كانت في حالة معنوية سيئة ، وانها قررت ، بعد سماعها محاضرة المستر ميرديث عن مفعول الكونين السام ان تأخذ كمية منه ، فغافلت الموجودين وتسللت الى معمله ، وافرغت عطر الياسمين من زجاجة حقيبة يدها ، وملأتها من عقار الكونين ، ولما سألتها لماذا فعلت هذا قالت : « انني لا اريد أن اطيل الحديث في موضوع شخصي ،ولكن يكفي القول اني تلقيت صدمة قاسية ، وذلك عندما صارحني زوجي بانه سيهجرني ليتزوج من فتاة اخرى ، فاذا صح هذا ، فلن استطيع الحياة بدونه ، ولهذا اخذت الكونين »

وقال بوارو عندئذ :

ـ هذه اجابة مقنعة الى حد ما

ـ نعم .. ولكن هذا لا يتفق مع قولها لالزا جرير انها تفضل أن تقتل كريل على أن تعطيه لها ، ثم هناك المشادة الاخرى التي حدثت في صباح يوم الوفاة وسمع فيليب بليك طرفا منها .. وكذلك مس الزا جرير سمعت طرفا آخر من نفس هذه المشادة التي حدثت في غرفة المكتبة بالقصر بين مستر ومسز كريل . وكانت الزا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة ، وسمعت الشيء الكثير من هذه المشادة

ـ وماذا سمعت هي وفيليب بليك !!

ـ سمع المستر فيليب مسز كريل تقول لزوجها في غضب : «هكذا انت دائما مع نسائك . لشد ما اتمنى أن اقتلك ، حتما سيأتي اليوم الذي اقتلك فيه »

ـ الم يسمع شيئا عن عزمها على الانتحار ؟

ـ لا . مطلقا . لم يسمع مثلا اية عبارة كهذه « اذا فعلت هذا فسوف اقتل نفسي » ، اما الزا جرير فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين :

قال كريل : « كوني عاقلة رزينة ياكارولين . انني اميل اليك واحب لك الخير دائما ، انت والطفلة طبعا ولكنني سأتزوج الزا .. وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حرا في تصرفاته » فقالت

كارولين : « حسنا . لا رغم انني لم احذرك » ، فقال كريل : « ماذا تمنين ؟ » . . فقالت كارولين : « اعنى انني احبك ، ولن اسمح لاحد أن ينتزعك منى . انني أفضل أن اقتلك على ان ادع هذه الفتاة تظفر بك »

وصمت المفتش هيل بعد ان فرغ من ترديد هذا الحوارعلىمسامع بوارو الذي قال :

ــ يبدو لى أن الزا جرير كانت حمقاء فى تحديها لمسز كريل ، فقد كان فى وسع هذه الاخيرة ان ترفض الطلاق من زوجها كريل نهائيا

فقال المفتش هيل :

ــ لدينا بعض الادلة الخاصة عن هذا الموضوع . فان مسز كريل افضت بآلامها ، كما يبدو ، للمستر ميرديث بليك ، وهو صديق قديم للاسرة . ويبدو أيضا انه شعر من اجلها باشد الحزن ، واستطاع ان يتحدث مع كريل فى الموضوع على انفراد ، واعتقد ان هذه المحادثة دارت فى اليوم السابق على المأساة ، وقد ذكر ميرديث لصديقه أنه سيكون حزينا ابلغ الحزن لو حدث الطلاق بين مستر ومسز كريل ، وكذلك اشار الى فارق السن بين الزا التى لم تكن تجاوزت العشرين ، وبين كريل الذى بلغ الاربعين ، وأنه لا يليق جرجرة فتاة صغيرة كهذه فى قضية طلاق ، وقد رد كريل على هذا بضحكة خفيفة ، تنم عن استهتاره التام بالعلاقات الزوجية ، ثم قال : « ان الزا لن تظهر فى المحكمة عند نظر قضية الطلاق ، واننا قد اتفقنا على طريقة ننهى بها الموضوع بغير ضجة »

وعندئذ قال بوارو :

ــ مادام الامر كذلك ، فلماذا افشت الزا السر وتحدت مسز كريل فى بيتها ؟ لاشك انها حماقة بالغة الشأن

فقال المفتش هيل :

ــ ان الرجل لا يعرف حقيقة ما يدور بذهن المرأة والمهم أن الموقف كان شديد الحرج للجميع فى القصر ، ولست أدرى كيف سمح كريل بنشوء مثل هذا الموقف بين المرأتين ؟ ان المسترميرديث

بليك يفسر هذا بقوله ان كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التى يرسمها لمس الزا جرير فهل هذا معقول ؟

ـ نعم يا صديقى ، ان هذا معقول جدا

ـ ولكنه ، فى رايى ، غير معقـول ، لقـد كان يسعى بنفسه الى خلق المشكلات

ـ من المحتمل جدا انه كان يشعر بالاستياء الشديد من الزا جرير لانها افشت السر قبل الوقت المتفق عليه

ـ نعم . . كان مستاء منها . هكذا شهد ميرديث بليـك . ولكن اذا كان مهتما بالفراغ من الصورة فلماذا لم يستعن ببعض صورها الشمسية فى اتمام الصورة فلا يضطر الى ابقائها مع زوجته فى القصر . انني أعرف رساما شابا ينقل صورا بالالوان المائية ، من صور مناظر طبيعية شمسية

فقال بوارو باسما :

ـ ان كريل لم يكن ليلجأ الى مثل هذه الطريقة البدائية فى الرسم لقد كان ، كما فهمت ، رساما كبيرا ، فنـانا نابغـة ، وليس من المستبعد ان يكون فنـه أهم لديه من كل شيء . ولاشك ان الفراغ من رسم الفتاة كان أهم لديه من التعجيل بزواجها ولعـل هـذا هو السبب الذى من أجله كان يريد ان يفرغ من رسم اللوحة قبـل ان تضطرب الاحوال بين الفتاة وزوجته . أما الفتاة ، فانهـا لم تدرك هذه الحقيقة . فالحب ، عند المرأة ، يأتى دائمـا فى المقـام الاول

فقال المفتش هيل :

ـ كلنا يعرف هذه الحقيقة

ـ ولكن الرجال يختلفون ، لاسيما الفنانون منهم ، فان للفـن اعباءه

فقال المفتش فى احتقار :

ـ الفن ؟ ماهذا الحديث عن الفن ؟ انتى لا أفهمه ، وما اظن انى سافهمه يوما ، ولناخذ مثلا هذه الصورة التى رسمها كريل للفتاة . انها صورة غريبة عجيبة كأنما الفتاة كانت تشكو من وجع اسنانها وهى جالسة امامه . أما السياج الحجرى الذى كانت جالسة

عليه ، فقد بدا غريبا ايضا . انني حتى الآن ، وبعد ستة عشر عاما لازلت اذكر نفوري من هذه الصورة

فابتسم بوارو وقال :

ـ انك تقرظ هذه الصورة أعظم تقريظ دون ان تدرى

ـ لا لا ، انا لا اقصد هذا . لماذا لا يحاول الرسام أن يرسم كل شيء طبق الاصل كما هو ؟ لماذا يتعب نفسه لكي يجعل الصورة تبدو غريبة عجيبة ؟

ـ ان بعضنا ياصديقي يرى الجمال في كل عجيب غريب

ـ أيا كان الامر ، فان مس الزا جرير هذه كانت في تلك الايام جميلة فاتنة ، ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها . وبهـذه المناسبة اذكر انها تزوجت مرتين : الاولى من رحالة مغامر لا اذكر اسمه ، والثانية من زوجها الحالي اللورد ديتشام . وهي معروفة في الاوساط الراقية الآن باسم الليدى ديتشام

ـ حسنا جدا . هل افهم من هذا أن الشاهدين الاساسيين اللذين كانا ضد مسز كريل هما فيليب بليك ومس الزا جرير ، اليس كذلك ؟

ـ نعم كانا ضد مسز كريل على طول الخط . وقد شهدت أيضا المربية مس ويليامز ، ورغم أنها كانت شديدة العطف على مسز كريل ، فان شهادتها اساءت الى موقف المتهمة الى حد كبير . ذلك لانها سيدة صادقة لا تقول غير الحق ، ولا تحاول المراوغة من الاجابة ولو كانت هذه الاجابة ضد أقرب الناس اليها

ـ وميرديث بليك ؟

ـ كان يعرب في شهادته عن حزنه وألمه ، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام في معمله ، وقد لامه المحقق . وكان على الجملة انموذجا للرجل المحافظ ، الذى يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة

ـ وهل شهدت الاخت الصغرى لمسز كريل ، اعني انجيلا وارين ؟

ـ لا ، لم يكن هناك مايدعو الى سماع اقوالها ، فانها لم تسمع اختها وهي تهدد زوجها بالموت ، ولم يكن لديها من الاقوال اكثر مما سمعناه من شهود الحادث ، فقد رأت مسز كريل وهي تأخذ الزجاجة ، زجاجة البيرة ، من الثلاجة ، وكان في مقدور الدفاع ان

يركز جهده فى هذه الناحية ويثبت أن مسز كريل لم تعبث بمحتويات الزجاجة . ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا ، لان ممثل الاتهام لم يدع أن السم كان فى الزجاجة

ـ اذن كيف استطاعت مسز كريل أن تضع السم فى كأس زوجها أمامه ، وامام مس الزا ومستر ميرديث ؟

ـ اولا كان كريل منهمكا فى الرسم ، وكانت الزا جرير جالسة بعيدا فى وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا الى مسز كسريل . أما مستر ميرديث فكان فى مكان بعيد عن الجميع

فغمغم بوارو قائلا :

ـ يبدو أن لديك الاجابة المقنعة عن كل سؤال

ـ ان الامر جد واضح يامسيو بوارو ، فقد ثبت باعترافهـا وشهادة الشهود أولا : انها هددت زوجها بالموت ، ثانيـا : أنهـا سرقت المادة السامة من معمل مستر ميرديث ، ثالثا : وجـدت الزجاجة الفارغة التى كانت تحتوى على المادة السامة فى غـرفة نومها ، وليس عليها غير بصمات أصابعها . رابعا : أنها هى التى حملت زجاجة البيرة الى زوجها ، وقدمت اليه الكاس ، آخـر كاس شربها زوجها قبل وفاته ، وقـد قال فى امتعاض ان كل شيء يبدو فى فمه مرا هذا اليوم ، والعجيب فى هذا الامر انها تهتم بحمل الشراب المثلج اليه رغم الخصومة التى كانت بينهما

ـ ان هذا فى الواقع شيء يثير التساؤل والدهشة !

ـ نعم ؟ لماذا اصبحت فجاة لطيفة معه ، مهتمة بامره ؟ لكى تحقق غرضهاطبعا . وقدرتبت الامركى تكتشف الجثة بنفسها ، ومن ثم ارسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب وذلك لكى تزيل عن الكاس والزجاجة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتيل على الزجاجة

فقال بوارو فى دهشة :

ـ تضغط بأصابع القتيل على زجاجة البيرة ؟

ـ نعم .. ولكن خدعتها انكشفت بسهولة ، وقـد جعلها ممثل الاتهام اضحوكة الجميع فى المحكمة حين بين للقضاة ان وضـع بصمات القتيل يدل بوضوح على انه مفتعل ، وانه لايمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة فى هذا الوضع الا اذا كانت مقلوبة ، وكانت هى ترجو أن توهمنا ان زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضـمير . ولكن ثبت للجميع ، من شهادة الشهود ، وظروف حياة القتيل ، انه آخر من يفكر مجرد تفكير فى الانتحار

ولما أومأ بوارو برأسه ، استطرد المفتش يقول :

ــ انها لم تحاول ان تفكر لحظة واحدة تفكيرا سليما . كان الحقد والغيرة قد أكلا قلبها واضلا عقلها . كانت تريد أن تقضي عليــــه . فلما نجحت في هذا ورأته أمامها جثة هامدة ، بدأت تدرك هــول الجناية التي ارتكبتها ، والمصير المنتظر لها ، فشرعت تبحث عن منفذ للنجاة ، فلم تجد أمامها غير نظرية الانتحار

ــ معقول جدا

ــ هل اقتنعت الآن يا مسيو بوارو بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الاولى ؟

ــ تقريبا . . . ولكن لا تزال هناك نقطة او اثنتان في حاجة الى مزيد من الايضاح

ــ انني على استعداد لان أرد على أي سؤال

ــ ماذا كان يفعـــل المقيمون في القصر او بقية الضيوف في ذلك الصباح ؟

ــ لقد تحرينا عن تصرفات كل واحد منهم . . ولكنني ابادر فأقول انه في حالة وقوع جريمة قتل بالسم لايمكن ان يكون اى انسان قريب من مسرح الجريمة ، فوق الشبهات تماما ، لا سيما اذا كان السم من النوع البطيء المفعول . اعنى ان في مقدور اى قاتل أن يعطي كمية من السم في برشامة للمجني عليه قائلا له انها دواء لعسر الهضم ــ مثلا ــ يؤخذ بعد الاكل ، ثم يسافر الى آخر الدنيا بالطائرة ، ويموت المجني عليه دون أن يعرف احد الحقيقة

ــ ولكنك لا تعتقد أن هذا ما حدث ؟!

ــ لا لا . . لم يكن المستر كريل يعاني عسر الهضم . ولا أعتقد ان أحدا أعطاه السم في برشامة . . حقا لقد نصح له مستر ميرديث بتعاطي « بلابيع » خاصة لتقوية الجسم من صنع يديه . ولكن كريل لم يعمل بهذه النصيحة ، ولو انه عمل بها لجعل من هذا الدواء مادة الضحك والتندر . . ثم انه ليس هناك ما يدعو ميرديث الى قتل كريل . . فقد كانت العلاقة بينهما أطيب ما تكون مودة وتقـــديرا متبادلا . . وكذلك كان الحب يربط بين مس الزا وكريل . . فليس هناك ما يدعوها لقتله ، وايضا ليس هناك اى باعث لان يقتل فيليب

بين اعز اصدقائه ، واعنى به كريل ؛ ولكننا لا ننكر أن مس ويليامز لم تكن على علاقة طيبة بكريل، اذ كانت تعرب دائما عن نفورها من سلوكه مع النساء ، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية .. ولكن نفورها هذا ما كان ليصل الى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم .

وكذلك كانت مس انجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج اختها . ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية .. وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل اليه ويبادلها هذا الميل ، والمعروف أن هذه الفتاة كانت تعامل فى القصر معاملة خاصة زاخرة بالحب والعطف والتدليل ، وذلك لانها اصيبت على يدى اختها مسز كريل ، وهى طفلة صغيرة ؛ باصابة شوهت جانب وجهها وافقدت احدى عينيها النظر .. ولهذا كانت مسز كريل تحاول ان تعوضها عما أصابها بالاسراف فى الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها

وعندئذ قال بوارو :

ــ ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة فى الشعور بالحقد على اختها كارولين التى كانت السبب فى تشويه وجهها !

ــ ربما .. ولكن هل يمكن أن يدفعها هذا الحقد، ان كان موجودا، الى قتل امياس كريل ؟ انه احتمال بعيد جدا ، وأيا كان الامر ، فان مسز كريل قد تولت بنفسها رعاية أختها هذه غير الشقيقة بعد وفاة والديها ، وأسبغت عليها من الحب والعطف الشىء الكثير . وقدشهد الجميع ان انجيلا كانت تحب اختها أشد الحب،ولهذا اصرت مسز كريل على أن تظل الفتاة بعيدا عن اجراءات المحاكمة وآلامها، ولكن انجيلا كانت شديدة القلق والحزن والحت فى رؤية اختها بعد صدور الحكم ، ولكن مسز كريل رفضت بشدة ان تقابلها ، قائلة : « ان منظرها وهى بملابس السجن سوف يترك فى نفس الفتاة الصغيرة اثرا عميقا قد يدمر حياتها » ومن ثم أرسلت بها الى مدرسة داخلية خارج البلاد

وأردف المفتش هيل ، بعد برهة صمت وجيزة ، قائلا :

ــ لقد أصبحت مس وارين الآن ، اى بعد ستة عشر عاما ، شخصية مشهورة بعد أن قامت برحلات كثيرة الى مناطق الآثار وبعد ان القت المحاضرات فى الجمعية الجغرافية الملكية ، وبعد أن جعلت لنفسها اسما لامعا فى الكتابة للصحف والمجلات

ــ ولم يعد احد يذكر المحاكمة ؟

ــ ولماذا يذكرونها ؟ ان مس وارين لا تحمل اسم والد كارولين ، فقد كانتا اختين غير شقيقتين ، من أم واحدة وابوين مختلفين .. ان اسم والد كارولين ، هو سبالدنج ..

ــ هل كانت مس وليامز المربية والمدرسة الخاصة لطفلة مستر ومسز كريل أما لمس وارين ؟

ــ كانت المربية والمدرسة الخاصة لمس وارين

ــ واين كانت ابنة كريل عند وقوع المأساة ؟

ــ كانت مع مربيتها الخاصة فى زيارة لجدتها الليدى تريسليان وكانت سيدة ارملة فقـــدت ابنتها ، وأصبحت شـــديدة التعلق بحفيدتها الصغيرة

ولما أومأ بوارو براسه ، استطرد المفتش هيل يقول :

ــ أما عن تصرفات الموجودين فى القصر يوم المأساة ، فيمكننى أن اقدم لك تقريرا كاملا دقيقا . فمس الزا جرير كانت ــ بعد طعام الافطار ــ جالسة فى الشرفة الواســـعة ، تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة ، وهناك ــ كما سبق القول ــ سمعت المشاجرة التى وقعت بين كريل وزوجته ، وبعد ذلك صحبت كريل الى حديقة البحر حيث جلست أمامه على السور الحجرى فى الوضع المطلوب للرسم . وظل كريل يعمل فى الصورة حتى موعد الغداء دون أن يستريح الا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته .. أما فيليب بليك فكان ــ بعد الافطار ــ فى القصر ، وقد سمع ايضا طرفا من المشاجرة التى وقعت بين الزوجين ، وبعـــد انصراف كريل والزا جـــرير الى حديقة البحر ، جلس فى الشرفة يقرأ صحيفة الصباح الى أن اتصل به اخوه ميرديث تليفونيا وابلغه نبأ اختفاء كمية من سم الكونين ، ومن ثم ذهب ليقابل اخاه عند شاطىء البحر ، ثم سار معه فى طريق العودة الى القصر ، فى الممر الصاعد المتعرج ، وقد مرا فى طريقهما بجانب سور حديقة البحر ، وكانت مس الزا جرير قد تركت مكانها ، وذهبت الى القصر لتحضر سترة من الصوف تضعها على كتفيهـــا اثناء جلوسها امام الرسام ، وقد سمع الشقيقان ، وهما يمران بجوار سور الحديقة ، حديثا يجرى بين مستر كريل وزوجته وكان

يبدو من طبيعة الحديث انهما يتناقشان فى موضوع ترحيل انجيلا وارين الى المدرسة

وعندئذ قاطعه بوارو قائلا :

ــ آه . . . اذن كانت محادثة هادئة ؟

ــ لا . . لم تكن هادئة بأية حال ، فقد كان كريل يصيح فى حديثه . ويبدو انه كان ممتعضا لان زوجته قطعت عليه عمله فى اللوحة بشئونها المنزلية الخاصة

واوما بوارو براسه ، بينما استطرد المفتش هيل قائلا :

ــ وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع كريل . . ثم حضرت مس الزا جرير بالسترة الصوفيــة ، وجلست فى الوضــع المناسب للرسم ، وعندئذ تناول كريل فرشاته واستانف عملـه مقطب الجبين ، وادرك الشقيقان انه ليس لهما مجال فى حديقــة البحر ، فغادراها الى القصر . وبهذه المناسبة اذكر ان كريل شكا من سخونة البيرة الموجودة فى حديقة البحر اثناء وجود الشقيقين ومسز كريل معه ، وقد وعدته مسز كريل بان تاتى اليه بزجاجــة مثلجة من الثلاجة الموجودة بالقصر

ــ هكذا ؟

ــ نعم . . هكذا . . كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الافعى هذا هو رايى الخاص ، وعلى كل حال ، فقــد جلس الشقيقان فى شرفة القصر حيث احضرت لهما انجيلا وارين زجاجات البيرة المثلوجة مع الاقداح ، وبعد ان شربا كفايتهما ، ذهبت انجيلا مع فيليب بليك للسباحة ، ومضى ميرديث الى مكان مكشوف يشرف على حديقــة البحر ، فجلس فيه ، وكان يستطيع من مكانه هذا ان يرى الزا جرير وهى جالسة على السور الحجرى ، وان يسمع حديثها مع كريل . . وقد ظل جالسا فى موضعه ذاك يفكر فى كمية الكونين المسروقة من معمله ، وكان شديد القلق لهذا السبب ؛ ولايدرى ماذا ينبغى ان يفعل ، ورأته الزا جرير من مكانها ، ولوحت بيدها . ولما دق الجرس معلنا عن موعد الغداء ، هبط من مكانه الى حديقة البحر وغادرها مع الزا جرير الى القصر ، وهو يذكر بهذه المناسبة ؛ انه راى كريل فى حالة غريبة . . ولكنه لم يهتم بالامر ؛ لانه كان يعرف ان كريل من النوع الذى يكره الاعتراف باى مرض . كما

كان يعرف انه متقلب المزاج .. فهو احيانا يبدو شديد الابتهاج اذا كان العمل فى اللوحة التى بين يديه يسير كما يريد ويرجو ؛ والا ، فهو مكتئب ، متجهم الوجه نارى النظرات ، وفى مثل هذه الحالات لا يسع الانسان الا أن يبتعد عنه . اما عن بقية الموجودين ، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح باعمالهم داخل القصر ، وكانت مس ويليامز قد امضت فترة طويلة من الصباح فى غرفة الجلوس ، وامضت انجيلا وارين معظم فترة الصباح متجولة فى الحديقة الواسعة ، أو متسلقة الاشجار ، او أى شىء من هذا القبيل ولما عادت لم تلبث أن صحبت مستر فيليب للسباحة فى البحر

وتوقف المفتش هيل أخيرا عن الحديث ، ثم قال فجأة :

ـ والآن .. هل تجد فى تصرفات أحد من الموجودين فى القصر ما يثير الاشتباه أو الشك ؟!

ـ لا .. مطلقا

ـ حسنا .. هل لديك أى شك الآن فى ادانة مسز كريل ؟

ـ انني لا ادرى على وجه التحديد ، ولكنى ساحاول أن ازداد اقتناعا

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سازور الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع مستر ومسز كريل يوم المأساة ، وساحاول أن اظفر باقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة

فتنهد المفتش فى عمق وقال :

ـ وهل تعتقد أن اقوالهم ستتفق بعضها مع بعض بعد كل هذه السنوات .. وهلا تعرف هذه الحقيقة البدهيـــــة ، وهى أن اقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف أمزجتهم وطبائع نفوسهم

ـ ولكن الحقائق الاساسية تبقى ثابتة فى اقوالهم المختلفة

ـ اخشى أن تحصل فى النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم يختلف بعضها عن بعض

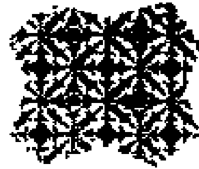
ــ ان هذا هو ما اعتمد عليه فى الوصول الى الحقيقة .. فان اصطدام هذه الاقوال هو الذى سيطلق الشرارة التى تضىء أمامى السبيل

وقبل ان ينصرف بوارو ، قال المفتش كأنما تذكر شيئا :

ــ وبهذه المناسبة نسيت ان اخبرك اننا عرفنا أيضا الوسيلةالتى نقلت بها كارولين السم من الزجاجة الى كأس زوجها

ــ وما هى ؟!

ــ خزان قلم حبر ، عثرنا عليه فى الممر المتعرج محطما ، بعد أن داست فوقه عشرات الاقدام !



الفصل الثالث

العدو العاشق

وبدا بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك

وكان فيليب قد أصبح في خلال هذه السنوات الست عشرة،رجل أعمال ناجح ، وسمسارا كبيرا في بورصة الاورق المالية . وكان في مظهره قصير القامة ، يميل الى البدانة ، مكتنز الوجه ، ماكر النظرات . وقد حرص بوارو على أن يخفي عنه الحقيقة الكامنة وراء زيارته،وانما ذكر له أنه منتدب من شركة كبيرة للنشر ، لجمع الحقائق ــ الخاصة ــ عن الجرائم الكبرى التى اهتز لها الرأى العام خلال العشرين سنة الماضية ، وذلك لنشرها في مجلد خاص

وقطب فيليب جبينه في دهشة وقال :

ــ يا للسماء .. لماذا يعمد الناشرون الى نبش الماضي ، واعادته الى أذهان الناس ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ــ هذه هي طبيعة القراء .. انهم يحبون هذه الالوان من القراءات المثيرة

ــ غيلان !

ــ ولكنها الطبيعة الانسانية ، فانت وانا يا مستر بليك أعرف الناس ــ بحكم تجاربنا ــ بطبائع البشر ، وقد سمعت أنك من أبرع الناس في سرد مثل هذا القصص

وضحك فيليب وقال :

ــ هل بلغتك هذه الحقيقة عنى ؟

ــ بلا شك .. بلا شك

وتراخى فيليب فى مقعده ، ثم قال فجأة :

ـ انك لست كاتبا قصصيا ، أليس كذلك ؟

فقال بوارو فى تواضع مصطنع :

ـ لا ... بل مجرد مخبر بوليس خاص

ـ أوه .. اننى أعرف أنك هيركيول بوارو الشهير

ـ يسرنى اننى معروف لك ، ولعل هذا ييسر مهمتى لديك

ـ اننى شخصيا لا أجد أى مانع فى الحديث عن ذكريات الماضى .. فماذا تريد أن تعرف !

ـ ارجو أن تحدثنى بكل ماتعرف عن مأساة الرسام امياس كريل ، فكلنا نعلم أنه كان من أعز اصدقائك

فصمت فيليب برهة ثم قال :

ـ لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأى العام منذ وقوعها ،واعتقد ان أحداثها والظروف المحيطة بها ، معروفة للجميع ، ولا سيما فى سجلات البوليس

ـ ولكننى أرجو ان أعرف رأيك الخاص فى هذه المأساة ، وتأثيرها فى نفسك

ـ آه .. تتحدث عن تأثيرها فى نفسى ؟ لقد كان تأثيرها قاسـيا رهيبا .. يكفى أن تعلم أنه كان فى مقدورى أن أنقذ صديقى كريل من الموت لو أنى تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرنى أخى ميرديث عن اختفاء كمية من سم الكونين من معمله

ـ هل كان هذا فى مقدورك حقا أم أنك تبالغ فى الشعور بوخز الضمير ؟

ـ اسمع .. اننى أفترض أنك تعرف الحقائق الاساسية عن هذه المأساة بعد ان قرأت ماكتب عنها فى حينها

ولما أومأ بوارو برأسه ، أردف فيليب بليك قائلا :

ـ حسنا .. عنـدما أخبرنى أخى ميرديث باختفاء كميـة من سم الكونين من معمله.كان فى حالة نفسية بالغة السوء ، ومع ذلك ، فلم اتصرف بالسرعة الواجبة..وانما أرجأت مناقشة هذا الامر الى مابعد الظهر .. ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة ، أعنى أننا

اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنامن طعام الغـداء · ولو أني أحسنت التفكير والتصرف في ذلك الصباح . لأدركت فورا أن كارولين هي السارقة لكميـــة سم الكونين ، ولعملت على تحذير الزا وكريل ·· نعم كان ينبغي ان اذهب فورا اليهما وأخبرهمـا أن كارولين تنوى بهما شرا ليكونا على حذر ··

ونهض بليك وراح يذرع الغـرفة جيئة وذهابا في انفعال ، ثم استطرد يقول :

ـ يا اله السموت ·· أتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي · لقد كنت أعلم . أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن كارولين هي التي اختلست كمية السم · وكانت الفرصة أمامي سانحة لانقاذ صديقي من الموت . ولكنني أهملت وتهاونت · لماذا لم أدرك منذ اللحظة الاولى أن كارولين ، في ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها ، سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم ! لماذا تهاونت ؟ هـذا هو الذى يؤلمني ويقض مضجعي

فقال بوارو مواسيا :

ـ اعتقد يا مستر فيليب أنك تشتد في تأنيب نفسـك أكثر مما ينبغي ، فلا شك أن الاحداث لم تترك الوقت الكافي ···

ـ الوقت الكافي ؟ لقد كان لدى ما يكفي من الوقت،وكانت جميع الفرص واضحة أمامي لانقاذه ·· كان في وسعي أن أذهب الى أمياس لأحذره ·· نعم كان من الممكن أن يضحك ويسخر من تحذيرى · فما كان أمياس بالرجـل الذى يسهل اقناعه بأنه معرض لأى خطر نعم كان يمكن أن يسخر مني · انه لم يستطع يوما أن يفهم حقيقة زوجتـه · لم يكن يدرك مبلغ ما كانت عليه من شر وعنف وقسوة حسنا · ولكن كان في وسعي أن أذهب اليها هي ·· الى كارولين ، وأن اقول لها : « انني أعرف ماذا تنوين أن تفعلي ، انني أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي ، فاذا مات أمياس مسمما بالكونين ، فثقي بأنك ستموتين على حبل المشنقة » نعم ، ان كلمات كهذه كانت كفيلة بوقفها عند حدها ··· وكذلك كان في مقدورى أن أتصل برجال البوليس ، نعم ، كانت أمامي وســـــائل كثيرة

لانقاذ صديقى ، ولكننى ، بدلا من اتخاذها ، تركت ميرديث يؤثر فى نفسى بحديثه الهادىء ، وطريقته البطيئة اذ قال : « يجب أولا يا فيليب أن نعرف ونتأكد من هو الذى اختلس الكونين قبل أن نلقى بالتهم جزافا » نعم ، هكذا هو ميرديث دائما ، بطىء التفكير بطىء الحركة ، متردد ، حمدا لله أنه الأخ الاكبر الذى ورث الضيعة والقصر ، والا لمات جوعا ، فانه آخر من يصلح للنجاح فى الحياة

وقال بوارو بهدوء :

ـ اذن لم يكن لديك أدنى شك فى سارقة السم ؟

ـ لا ، لم يكن لدى أدنى شك ، لقد عرفت فورا أنها كارولين ، نعم ، فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها

ـ هذا شىء مثير للفضول يامستر بليك ، أى نوع من النساء كانت هى ؟

فقال فيليب بليك فى حدة :

ـ انها ليست المسكينة المجروحة فى كبريائها كما ظنها الناس أثناء المحاكمة

ـ اذن ماذا هى فى الحقيقة ؟

فجلس فيليب مرة أخرى وقال فى لهجة جادة :

ـ هل تريد حقا أن تعرف كل شىء عنها ؟

ـ جدا

ـ كانت كارولين امرأة سوء ٠ لم أر فى حياتى امرأة أسوأ منها ، نعم ، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال ، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التى تخدع الناس فى حقيقة أمرها ، نعم ، كانت لها هذه النظرة الناعمة ، المستسلمة ، الوادعة ، التى تثير فى قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية ٠ لقد قرأت فى كتب التاريخ عن الملكة مارى ، ملكة الاسكتلنديين،انها كانت جذابة، جميلة ، سيئة الحظ ، ولكنها ، فى الواقع ذكية ، مدبرة ، ماكرة ، عرفت كيف تضع الخطة للقضاء على الامير دارنل دون أن تثير حولها الشبهات ٠ وهكذا كانت كارولين ، جذابة ، جميلة ، تبدو وادعة ، ولكن لها فى الواقع نفسية القاتل ، وطباع الوحش

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ـ انني لا أدرى هل علمت بهذه الحقيقة أم لا . فانها لم تكن ذات أهمية كبيرة أثناء المحاكمة ، ولكنها ، في رأيي ، ذات دلالة أكيدة على حقيقة أخلاق هذه المرأة . وأعنى بهذه الحقيقة ما فعلته بأختها الصغرى انجيلا وارين . انها الغيرة العمياء. لقد تزوجت أم كارولين مرة أخرى ، وأنجبت من زوجها الجديد انجيلا ، وكان طبعيا أن تركز الام معظم عواطفها وحنانها في الطفلة الصغيرة ، ولكن كارولين لم تحتمل هذا . ملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة ، فحاولت أن تقتلها بقضيب من الحديد . ضربتها على رأسها ، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة وانما شوهت جانب وجهها وأفقدت احدى عينيها النظر . فهل هناك أبشع من هذا ؟

ـ لا ، مطلقا

ـ حسنا . هذه هي كارولين ، انها تريد دائما أن تكون الاولى . وان الشيء الوحيد الذى لم تكن تطيقه أو تفهمه ، هو أن تتخلف عن غيرها . كان في أعماق نفسها شيطان ، مريد ، الويل لمن يثيره

وبعد فترة من الصمت ، استطرد فيليب يقول :

ـ قد يبدو لك أنها ، بسبب هذا الحادث مع أختها ، امرأة متهورة ، مندفعة ، ولكنها في الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر ، فبعد وفاة والديها ، جاءت للاقامة ـ وهي فتاة في سن الزواج ـ في قصر آلدربرى مع آل كريل الذين يمتون اليها بصلات من القرابة البعيدة . وفى أثناء هذه الفترة التى أمضتها معهم قبل الزواج ، راحت تعجم أعوادنا جميعا ، نحن شباب المنطقة . ولم تفكر هي في مجرد الزواج مني لأنى كنت يومذاك فقيرا بعد أن آلت الثروة الى أخى ميرديث . وكانت هي أيضا فقيرة ، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقرى وفقرها . ومن العجيب ، أو الطريف ، انني الآن أوسع الجميع ، جميع زملائي وأقاربي ، ثراء ، حسنا ، وفكرت في الزواج من ميرديث ، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل ، فقد كان المعروف أن أمياس هو الوارث الوحيد لقصر آلدربرى والضيعة المحيطة به . وقد أدركت بذكائها انه فنان موهوب ، وأن المال سيجرى بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ . وقد صدق حدسها ، وذاعت شهرة أمياس ، وجرى المال بين يديه . وأصبح من أكبر الرسامين

فى عصره • هل رأيت لوحاته ؟ ان لدى واحدة منهـــا • تعال وأنا أفرجك عليها

ثم تقدمه الى قاعة المائدة ، حيث أشار الى لوحة كبيرة معلقة على الجدار الايسر ، وقال :

ــ هذه بريشة أمياس

ونظر بوارو فى صمت ودهشـــة • كانت اللوحة تصور اناء من الازهار فوق منضدة من خشب الجوز اللامع • وكانت الازهار تبدو متوهجة بالحياة والنضارة ، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز كلما أمعن الانسان النظر اليه • وتنهد بوارو وقال :

ــ نعم • ان لمسة العبقرية واضحة فى هذه اللوحة

وعاد فيليب بليك الى الشرفة التى كانا جالسين فيها ، حيث غمغم قائلا :

ــ اننى لا أفهم شيئا عن الفن ، ولكنى اشعر ان رسوم كريل تمتاز بشيء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا ينساها أبدا

ثم اردف قائلا بعد أن قدم الى ضيفه لفافة تبغ :

ــ هـــذا هو العبقرى الفنان الذى قتلتـــه زوجتـــه ، وهو فى اوج الحيـــاة والمجد والشهرة . ولعلك تعتقد اننى متحامل على كارولين . ربمـــا ، ولكنى أؤكد لك أن هذه المرأة ، برغم جمالهـــا وجاذبيتها ، كانت الشر بعينه . كانت تجمـــع بين القسوة والطمع والميل الغريزى الى الشر

ــ ولكننى سمعت يا مستر فيليب انهـــا تحملت الشيء الـــكثير من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية

ــ نعم ، كانت جسد حريصة على أن تجعل كل الناس يعتقدون انها الضحية البريئة لخيانات زوجها . ولكن الحقيقة هى أن حياة كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات والمنازعات ، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم الى فنه . كان يعيش فيه ومن أجله • كان يتجاهل كارولين وشغبها ومضايقاتها عندما ينهمك فى رسم لوحة جديدة . ويخيل الى انها كانت تستمد السعادة من مشاجراتها مع زوجها ، فهى فى كل مشاجرة كانت تطلق لسانها بالعبارات القاسية العنيفة ، وكانما تريد أن تفرغ فيه كل

ما تزخر به نفسها من سوء وفساد ، فاذا انتهت المشاجرة ، رأيتهما سعيدة مبتهجة ناعمة البال . ولكن هذا كله كان يثقل على كريل . فقد كان ، كفنان ، يحب الهدوء ، والحياة الراضية . اعتقد انه أخطأ بالزواج . فان رجلا مثله كان ينبغي أن يعيش حرا من القيود الزوجية

ــ هل كان يفضي اليك بمتاعبه ؟

ــ كان يعرف انني صديق وفي مخلص منذ الصبا . ولكنه لم يكن يشكو ، وانما ينفجر أحيانا بمثل هذه العبارة « اللعنة على جميع النساء » ، او « حذار ان تتزوج يا صديقي ، فان الزواج هو جحيم هذه الدنيا »

ــ هل كنت تعرف علاقته بمس الزا جرير ؟

ــ نعم ، اخبرني ذات يوم أنه تعرف بفتاة مدهشة ، تختلف عن كل اللاتي تعرف بهن من قبل ، وقد سخرت في نفسي من حديثه هذا ، فقد كان يقول عن كل فتاة او امرأة يتعرف بها انها مدهشة وتختلف عن الجميع ، ثم لا يلبث أن يضيق بها ، ويهرب منها . ولكني حين رأيت الزا جرير في قصر آلدربري ، ادركت أن الامر ، في هذه المرة جد خطير ، فقد كان الواضح للجميع ان المسكين غارق في حبها الى أذنيه ، وأن هذه اللعينة عرفت كيف تأسره

ــ كانك لم تكن راضيا عن الزا أيضا !

ــ لا . لم أشعر بأي ميل نحوها . فقد كانت هي أيضا تريد ان تستحوذ عليه تماما ، أن تضمه في « القفص » ، أن تسيطر على جسمه وروحه معا ، ولكني ، مع هذا ، كنت اعتقد انها ستكون ــ كزوجة ــ افضل من كارولين . على اني في الواقع ، كنت أفضل لو ان كريل عاش بعيدا عن شباك النساء

ــ ولكن يبدو انه كان مفتونا بهن

ــ نعم ، كان الاحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية ، حتى يقع في اخرى ، ولكن يبدو أن المرأتين اللتين كان لهما اكبر الاثر في حياته ، هما كارولين والزا جرير ..

ــ وهل كان محبا لاخت زوجته ، انجيلا ؟

ــ اعتقد هذا ، فقد كانت الفتاة دائما لطيفة مرحة ، ولكنها احيانا كانت تتمادى في عبثها معه ، فيشتد عليها ، وعندئذ تتدخل

كارولين وتقف في صف اختها ضده ، وكان هذا الموقف من كارولين يزيد من غضبه على انجيلا ، بل ومن غيرته أيضا ، كان يعتقد أن زوجته تفضل اختها عليه ، وتوليها من الحب أكثر مما توليه ، وكانت انجيلا في الوقت نفسه تغار من امياس وتحاول أن تظفر دونه بقلب اختها . وقد قرر هو ان تذهب الى مدرسة داخلية في ذلك الخريف ، واصر على تنفيــــذ قراره ، وثارت هي بشـــــدة على هـــذا القرار : لا لأنها تكره الذهاب الى المدرسة ، وانما للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها امياس هذا القرار . والواقع أنه ، من هذه الناحية ، كان على حق ، فقد تسودت انجيلا كلما غضبت منه أن تتمادى في معابثته، وفي ذات مرة وضعت في سريره عشر خنـــافس ، نعم ، لقــــد كان الاوان قد آن فعلا لالحاقها باحدى المدارس الثانوية

ــ وهل كان يحب ابنته الطفلة كارلا اشد الحب ؟

ــ اعتقد هذا .. كان يحبها ويدللها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب ، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بالزا ، اذا كان هذا هو قصدك من السؤال ، انه ، في رأيي ، لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحي بسعادته الخاصة من اجلها

ــ وهل كانت كارولين متغالية في حب ابنتها كارلا ؟

ــ لا أستطيع أن أقول انها لم تكن أما مثالية ، نعم ، لا اســـتطيع ان أزعم هذا • ولعل أشد ما آلمني في هذه المأساة هو موقف هــذه الابنة المسكينة التي فقدت امها وأباها في وقت واحد ، وفي مثل هذه الظروف ، لقد أرسلوا بهـــــا الى ابنة عم أبيها في كندا . وانا ارجو أن يكونوا هناك قد اخفوا عنها هذه المأساة

فهز بوارو رأسه وقال :

ــ مثل هذه المآسي ، يا مستر بليك ، لا يمكن أن تظل خافية الى الابد

ــ من يدري ؟

ــ حسنا يا مستر بليـــك . انني سالتمس منك شيئا ارجو ان تحققه .. انني أرجو أن تكتب لي كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذهالمأساة

ـ ولكنني يا مسيو بوارو لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة ، بعد كل هذه السنوات

ـ أعتقد انك حين تبدأ فى الكتابة ، ستجد نفسك قد تذكرت كل شيء تقريبا

ـ عجبا !

ـ هذه هي احدى عجائب الذاكرة ، فانك حين تثيرها ، تفتح لك أبواب خزائنها وتطلق منها من الذكريات ما سوف تدهش له

ـ ولكن ، لماذا ؟ أليست سجلات البوليس الخاصة بهذه المأساة تحت أمرك !

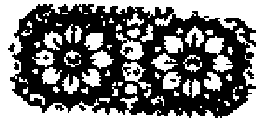
ـ نعم ، ولكنني ارجو أن أعرف بعض الحقائق الخاصة التي سوف ترد في كتابتك عن الحادث، وأنا واثق أنه كانت هناك عبارات وتفاصيل وأشياء كثيرة لم يرد لها ذكر فى تحريات البوليس أو أثناء المحاكمة ، على أساس أنها ليست بذات أهمية ، ولكنها ، فى الواقع ، قد تكون بالغة الاهمية

ـ ولكنني رجل كثير الشواغل و . . .

ـ انني مستعد يامستر بليك أن . . . أن أدفع الاجر المطلوب

ـ لا . . . لا ، انني اذا قررت الكتابة ، فسوف أكتب ذكرياتي عن المأساة بدون مقابل ، بشرط الا تنشر شيئا من أقوالي بغير اذن مني

ـ أتعهد لك بهذا ، وأقدم لك جزيل الشكر



الفصل الرابع

الحبيب الهادئ

حرص هيركيول بوارو على ان يتزود بخطاب توصية من صديقته الليدى مارى ليتون الى المستر ميرديث بليك ، عندما ذهب لزيارته فى ضيعته هاندكروس وقد استقبله ميرديث فى أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب . ولكنه ماكاد يطلع على خطاب الليدى مارى، حتى استرد رباطة جأشه ، وراح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدى مارى ، وعن الصيد والقنص فى الريف ، وعن هواية سباق الارانب والكلاب . وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة ، وتحفظه فى الحديث ، انموذجا لاعيان الاقاليم المحافظين

ولما حدثه بوارو عن رغبة « دار النشر » فى الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الاشخاص الاحياء الذين شهدوا مأساة الرسام امياس كريل ، قال ميرديث فى عنف وهو يحشو غليونه :

ـ أليس من الوحشية الآدمية نبش مثل هذه المآسى التى عفى عليها الزمن ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ اننى أتفق معك فى هذا ، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الاحداث الحقيقية الواقعية

ـ اننى مصر على أن هذا أمر شائن

فقال بوارو فى صوت رقيق :

ـ نعم ، ولكننا ، فى هذا الكتاب ، سنحاول بقدر الامكان أن نبين للقراء الظروف التى أحاطت بالحادث وادت اليه ، وان كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الامر وتعتقد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الرأى العام نحو أمها

ــ اوه ، كارلا ... كارلا الصغيرة . لا شك انهـا قد اصبحت الآن شابة

ــ نعم ، فان السنين تمر بسرعة غريبة احيانا

فتنهد ميرديث وقال :

ــ باسرع مما يظن الانسان

ــ واهم من هذا كله ان كارلا تريد أيضا أن تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين كانوا موجودين عند وقوعها ، وذلك لانها غير مطمئنة الى تحريات البوليس وأقوال بعض الشهود . انها تريد أن تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا اقرب الناس اليهما عند وقوع المأساة

ــ نعم ، نعم ، لا شك ان هذه المسكينة فجعت حين علمت اخيرا بمأساة أبويها . ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلعت عـلى تفاصيل المأساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من اية عاطفة

وعندئذ أسرع بوارو قائلا :

ــ هذا تماما ما تريده كارلا ، وما نريده نحن . العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التى كانت تتفاعل فى جو المأساة قبيل وقوعها

وصمت بوارو فجأة ، وبدا ميرديث يتحدث فى اهتمام . وقدأخذت الذكريات تتزاحم فى ذهنه :

ــ لقد كان امياس صديقا لنا منذ الطفولة .. وكانت اسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتى منذ أجيال عديدة ، ولكن . لا يسع الانسان الا ان يعترف بأن تصرفاته كانت ... مخجلة ، مثيرة ولعل هذا يرجع الى مزاجه الفنى ، فانه يقال ان للفنانين أهواء ونزعات خاصـة ، غير طبيعية .. ولكن لكل شيء حدودا . وما أظن أن هناك انسانا يحترم نفسه يرضى أن يأتى بعشيقته الى بيت الزوجيـة ، ويواجه بها زوجته ، بل ويتحداها هكذا علنا امام الاصدقاء والجيران

ــ يسرنى ان اسمع منك هذا يا مستر بليك ، فالواقع انه لا يوجد انسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع ، أو يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة

وتردد ميرديث برهة . ثم اذا وجهه يشرق بابتسامة غامضة وهو يقول :

ــ نعم ، نعم . ولكن المهم فى الموضوع هو أن امياس لم يكن انسانا عاديا أو طبيعيا ، وانما كان رساما ... فنانا ، وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الاول . اذكر انه كان أحيانا يفضل الاستغراق فى العمل فى احدى اللوحات عن أية متعة أخرى من متع الحياة . وأنا شخصيا لا أزعم انى أفهم شيئا عن مثل هذه الشئون الفنية . ولكننى استطيع القول ان امياس كان فنانا موهوبا حقا . هذه حقيقة يعترف بها الجميع الآن . واعتقد أن الدليل على اصالة موهبته انه لم يكن يهتم بأى شىء فى الحياة عندما يكون مشغولا بالعمل فى احدى اللوحات ، لم يكن يسمح لاى شىء ، أيا كان ، أن يقف بينه وبين اتمام اللوحة التى بين يديه . كان ، اثناء استغراقه فى رسم لوحة جديدة ، كرجل يعيش فى حلم ، فى عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا . حتى اذا فرغ منها او كاد ، بدأ يلتقط خيوط الحياة العادية مرة اخرى

ونظر ميرديث فى تساؤل الى بوارو الذى هز رأسه موافقا ، وعندئذ استطرد يقول :

ــ ارى انك تدرك ما أعنى . حسنا ، لعل هذا يفسر شذوذ بعض تصرفاته ، ولا سيما هذا التصرف الذى جعله يجمع بين حبيبته وزوجته فى مكان واحد . لقد كان يحب الزا جرير حقا ، وكان على استعداد لان يطلق زوجته ، ويحرم نفسه من ابنته ، ليتزوج بها . ولكنه كان قد بدأ يرسمها هنا ، وهى جالسة على سور حديقة البحر ، وقد أراد أن يفرغ من رسم هذه اللوحة . ومن ثم لم يكن يهمه شىء . . أو يمكن القول انه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشىء عن وجود الحبيبة والزوجة تحت سقف بيت واحد . أعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يلتمسه الانسان لمثل هذا التصرف الشاذ

ــ وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية ؟

ــ أعتقد أن الزا كانت مدركة هذه الحقيقة . والواقع أنها كانت شديدة الاعجاب به كفنان ، فضلا عن حبها العميق له كرجل . ولعل هذا الاعجاب ، وهذا الحب ، كانا من الاسباب التى جعلتها تحتمل حرج الموقف بشجاعة ، بل بجراة تبلغ حد ... التهور

ـ وماذا عن كارولين ؟

ـ كارولين ؟ آه . لقد كنت دائما اشعر بالميل اليهـــا . وقد داعبني الامل يوما بالزواج منها ، ولكن سرعان ما تلاشي هذا الامل . ومع ذلك فقد بقيت ـ اذا جاز لي أن أقول هذا ـ محبا لها ، واضعا نفسي في خدمتها

وأوما بوارو براسه في فهم وادراك . لقد كان يعلم ان مثل هــذا الرجل المحافظ اذا أحب ، فانه يحب بشرف ، ويتفاني فيمن يحب الى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء

وقال وهو يزن كلماته بعناية :

ـ اذن لاشك انك لم تكن راضيا عن تصرفات كريل معها !

ـ نعم ، وقد تحدثت معه بشأن هذه الفتاة الزا جرير

ـ متى ؟

ـ في اليوم السابق على المأساة . لقد حضروا هنا جميعا لشرب الشاي ، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له انه بهذا التصرف يسيء الى كل من كارولين والزا ، وانه اذا كان ينوى الزواج بالفتاة ، فليس هناك ما يدعوه الى احراج كارولين وتحديها هكذا علنا ، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف

ـ وماذا كانت اجابته ؟

ـ قال ان على كارولين أن تحتمل رغما عنها

ـ لا شك انها اجابة خالية من كل عطف واشفاق

ـ نعم ، ولهذا لم استطع أن اتمالك زمام اعصابي ، فعنفته بشدة قائلا ان الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا العذاب حتى لو لم يعد يحبها ، وانه لوكان يحب الزا حقا لما عرضها لمثل هذا الموقف الحرج، فما كان منه الا أن أجاب قائلا ان على الزا أيضا أن تحتمل هــذا الموقف رغما عنها ، ثم استطرد في حديثه معي فقال ان هذه اللوحة التي يعمل بها هي خير انتاجه الفني كله ، وانه لن يسمح لاية امرأة في الدنيا أن تحول بينه وبين اتمامها ، فقلت له ان الرسم ليس كل شيء في الدنيا فقاطعني قائلا انه ، بالنسبة اليه ، يعتبر كل شيء . فذكرت له أن كارولين تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء ، وان هذا لايليق برجل يحترم نفسه ،

فقال لى انه يعرف هذه الحقيقة ، وانه جد آسف ، وانه يعرف أن زوجته تتعذب فى حياتها معه ، وانها ، بالنسبة اليه ، ملاك كريم ، ولكنه كان قد حذرها قبل الزواج بانه عاطفى ، و وزير نساء وبوهيمى المزاج . فقلت له ، مهما يكن الامر ، فلا ينبغى ان يحطم حياته الزوجية حرصا على مستقبل طفلتهما — على الاقل — وكذلك بينت له بوضوح ان الزا فتاة طائشة ، وانه لا يجب الاعتماد على عواطفها فى مثل هذه السن ، ومن المحتمل جدا ان يندم كل منهما بعد الزواج ، وأن من الخير كل الخير ان يقطع علاقته بها ، ويعود الى زوجته وطفلته

— وماذا قال ؟

— نظر الى فى اضطراب وارتباك ، ثم ربت كتفى وقال : «انك صديق طيب يا ميرديث ، ولكنك عاطفى أكثر مما ينبغى . انتظر حتى أفرغ من الصورة وسوف ترى أننى على حق »

وتنهد ميرديث ثم أردف قائلا :

— لقد كنا جميعا نشعر بالاسى والالم فى ذلك الحين

— الا امياس كريل ؟

— نعم . لانه كان انسانا لاتهمه غير مصالحه الخاصة . وأذكر وضوح أنه اختتم حديثه معى بقوله : « اطمئن يا ميرديث . فسوف ينتهى كل شىء على خير »

— ان هذا دليل على انه من الناس المتفائلين بطبيعتهم

— انه من اولئك الذين لا يهتمون كثيرا بمشاعر النساء ، وقد ردت ان أقول له ان كارولين فى حالة يأس ، وأن المرأة حين تيأس كون اشد خطرا من الوحش .. ولكنى كنت ادرك انه سيسخر منى و حدثته بهذا

— وهل حدثتك كارولين بآلامها ؟

— حدثتنى تلميحا وفى كلمات قليلة ، ولكنى كنت ارى فى وجهها شساحب وفى نظرات عينيها ، أمارات اليأس العميق . كانت تحدث وتضحك أكثر مما ينبغى ، ولكن الحزن العميق كان يطل وضوح من عينيها ، ويكاد يذيب أقسى القلوب وأغلظها . لشد ما كانت قيقة وادعة

وبعد برهة من الصمت ، استطرد ميرديث فى حديثه وكاتما

فتحت ذاكرته ابواب الذكريات على مصاريعها ، فانشأ يقول :

ــ كان ينبغي أن ارتاب في الامر . فقد كانت كارولين هي التي وجهت الحديث الى ... الى هوايتي في استخراج العقاقير من النباتات الطبيــة ، وكانت النتيجة أني تحــدثت الى الضيوف عن هــذه الهواية ، وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهاوي أن يلتقط بعض الاعشاب الطبية في ضوء القمر ، ثم تحولت في حديثي الى نبــات « الهملوك » المرقط Spotted Hemlock الذي يستخرج منه مخدر الكونين السام

ــ هل كان حديثك هذا في غرفة العمل ؟!

ــ نعم ، كنت اتحــدث واشرح حديثي بالاشــارة الى مختلف العقــاقير والمركبات والمستخرجات ، واذكر اني حدثتهم عن عقــار الفاليريان Valerian الذي تجذب رائحته القطط ، وتحدثت اليهم عن طريقة استخراج البلادونا والاتروبين ... وقد بدأ الاهتمام على وجوههم جميعا أثناء حديثي

ــ جميعا ؟

ــ نعم ... جميعا : فيليب ، وأمياس ، وكارولين ، وانجيــلا ، والزا جرير ..

ــ الم يكن هناك أحد آخر ؟! كالمربية مس ويليامز مثلا ؟

ــ لا ، لم تكن مس ويليــامز معنا . انها مربيــة تعرف كيف تؤدي واجباتها . وأعتقد أن انجيلا كانت تثير قلقها كثيرا

ــ لماذا ؟

ــ لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير « المقالب » ، والتمادي في المداعبة الثقيلة ، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا أمياس وهو منهمك في رسم لوحة هامة . واذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها بالمدرسة

ــ يلحقها بالمدرسة !

ــ لا لأنه كان يكرهها ، وانمــا لأنهــا كانت تميــل الى الشغب والاثارة . واعتقد أنه ايضا كان يغار منها ومن مكانتها الرفيعة في قلب كارولين ، زوجته . وكانت كارولين شــديدة الحب والعطف على أختها لأن ...

فقاطعه بوارو قائلا :

ــ لأنها كانت السبب في تشويه جانب وجه الفتاة ، فأرادت ان تعوضها بالحب والحنان ؟

ــ آه .. اتعرف هذا ؟ حسنا . لقد كانت كارولين تشعر دائما بوخز الضمير لهذا السبب

ــ وهل كانت انجيلا حاقدة على أختها ؟

ــ لا لا ، مطلقا ، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد الى هذا الموضوع

ــ وهل كانت انجيلا راضية بفكرة الذهاب الى المدرسة

ــ لا ، بل ثارت في وجه امياس وارادت أن تتحداه ، ووقفت أختها بجانبها ، ولكن أمياس كان من الرجال الذين اذا قرروا أمرا فلن يرجعوا عنه أبدا . وهكذا لم يكن على انجيلا الا أن تخضع فى النهاية لقراره

ــ ومتى تقرر الحاقها بالمدرسة ؟

ــ فى ذلك الخريف الذى وقعت فيه المأساة . فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجياتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة ، لذهبت اليها بعد أيام معدودة . فقد سمعت حديثا فى الصباح عن ترحيلها بعد اعداد حقائبها

ــ وماذا كان رأى المربية المس ويليامز ؟ ألا يعنى الحاق انجيلا بالمدرسة ، تعطلها هى عن العمل !

ــ نعم . ولكن هل يعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الاخلاق مثل مس ويليامز الى ارتكاب جريمة قتل حتى لاتتعطل عن العمل ؟

ــ غير معقول طبعا ، وان كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لأتفه الاسباب . حسنا يا مستر بليك ، وماذا كان رأى الزا فى الموضوع كله ؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهى تعمل على تحطيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته !

ــ لا . أبدا . لقد تحدثت معها طويلا فى هذا الشأن ، فضحكت وقالت ان الانسان يجب أن يبحث عن السعادة فى الحياة وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة

من المشاجرات والمنازعات ، فليس هناك أفضل من أن يتحرر كل منهما من الآخر ، ورغم أنى لم أقتنع طبعا بمنطقها ، فاني لم أستطع أن أقنعها بمغبة هذه المغامرة التى توشك على ركوبها بالزواج من رجل يكبرها بعشرين عاما

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

ــ الا لا زلت يا مستربليك هاويا لاستخراج العقاقير من الاعشاب الطبية ؟

ــ لا لا لا . لقد نفضت يدى تماما من هذه الهواية بعد المأساة فانا حتى اليوم لا زلت اشعر بانى لا اخلو من المسئولية غير المباشرة فيما حدث

ــ هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التى بقيت فى معملك ؟

ــ نعم ، بصمات أصابع كارولين فقط

ــ وأصابعك أنت ؟

ــ لا ، لم أمسك الزجاجة بيدى ، وانما اشرت اليها فقط أثناء حديثى . ولا شك ان آثار بصماتى القديمة عليها زالت بسبب استعمال المنفضة يوميا لازالة الغبار عن الزجاجات ، وبهذه المناسبة كنت انا الذى انظف الزجاجات . لم أكن أسمح للخدم بدخول المعمل . كنت أحرص دائما على غلق بابه بالمفتاح

ــ ومتى اختلست كارولين كمية الكونين ؟

ــ ونحن فى طريق الخروج من المعمل ، فقد كانت هى آخر من خرج ، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلا مع الزا جرير ، ثم ناديت على كارولين حين رأيت انها تأخرت فى الخروج ، فجاءت مضطربة متوهجة الوجنتين ، متألقة العينين . يا الهى ! انى أكاد اراها الآن

ــ هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليوم ، اعنى محادثة بشأن الموقف الذى كان بينها وبين زوجها

ــ نعم ، ولكن فى كلمات قليلة . عندما رأيتها مضطربة النفس ، قلت لها : « هل حدث شيء ياكارولين ؟ »

فقالت : « حدث كل شيء ، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء . لقد انتهيت أنا يا ميرديث » ثم أرسلت ضحكة عصبية ،

وتحولت نحو الآخرين فى ابتهاج مصطنع

وصمتت ميرديث برهة ، قبل أن يستطرد قائلا :

ـ أؤكد لك يا مسيو بوارو أن كارولين كانت صادقة حين اعترفت أثناء المحاكمة بأنها اختلست كمية الكونين لتنتحر بهـا . نعم ، انها لم تفكر فى قتل زوجها الا فى اليوم التالى

ـ هل أنت واثق تماما أن كارولين هى القاتلة ؟

ـ اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟ أم لعلك تعنى أن الحادث وقع قضاء وقدرا ؟

ـ ربما

ـ هذا عجيب جدا

ـ لماذا ؟ الم تقل انت، ان كارولين كانت دائما سيدة رقيقة لطيفة ، اى ملاك بالقياس الى زوجها ؟

ـ نعم

ـ فهل يمكن لمثل هذه السيدة ان ترتكب جريمة قتل عمـد مع سبق الاصرار ؟

ـ كان لكارولين ، رغم رقتها ولطفها ، لسان حاد لاذع تلهب به زوجها أحيانا عندما يتمادى فى سوء سلوكه ، وكانت أحيانا تقول له : « اننى اكرهك ، لشد ما اتمنى ان اقتلك وامزق جسمك بيدى » او شيئا من هذا القبيـل . واعتقـد أن تصرفات كريل الاخـيرة وتحديه السافر لها قد افقدها الصواب ، وجعلها تقدم على ارتكاب هذه الجريمة . ان التى ارتكبت هذه الجريمة ليست كارولين العاقلة اللطيفة ، وانما كارولين التى فقدت عقلها

ـ اذن فانت لا توافق على نظرية انتحار كريل ؟

ـ لا لا . ان كريل كان آخر انسان فى الدنيا يفكر ـ مجرد تفكير ـ فى الانتحار

ـ كانك فى هذه الحالة جد واثق من ادانة كارولين

ـ أعود فاقول اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟

ـ أليس هنالك احتمال ـ مجرد احتمال بسيط ـ فى أن يكون القاتل شخصا آخر غيرها !

ــ انه احتمال مستبعد ، بل مستحيل . لقد كان فيليب من اخلص اصدقائه ، وليس هناك ادنى سبب لارتكاب مثل هذه الجريمة .. وأنا ! هل أبدو في نظرك قاتلا ؟ حسنا ـ والزا هل يعقل أن تقتل الشخص الذى كانت تحبه بكل ذرة من كيانها .. المعقول أن تقتل كارولين ، وكذلك لا يعقل ان ترتكب صبية مثل انجيلا جريمة قتل. وليس هناك ادنى سبب يدفع مربية محترمة مثل المس وليامز الى ارتكاب هذه الجريمة . وكذلك الخدم لم يكن لهم أى دخل فى الموضوع كله

فقال بوارو بعد برهة صمت :

ــ هل يمكن يا مستر بليك أن تتكرم وتكتب كل ماتعرفه أوتذكره عن هذه المأساة ، لقد وافق شقيقك المستر فيليب على كتابة ذكرياته بخصوص هذا الموضوع

ــ فيليب ؟ هل تحدثت معه فى هذا الشأن ؟

ــ نعم

ــ لا شك فى انك لاحظت مبلغ تحامله على كارولين

ــ لقد أدهشني هذا التحامل فعلا

ــ لقد كان معاديا لها دائما

ــ لماذا ؟

ــ لا أدرى ، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة . واعتقد انه كان شديد الاستياء يوم تزوجت كريل ، بل انه امتنع عن الذهاب اليهما عقب الزواج عاما كاملا ، ومع ذلك فقد ظل أمياس اخلص أصدقائه . واعتقد ان هذا هو السبب . فقد كان يعتقد ان امياس اعظم شأنا منها ، وكان يخشى أن زواجه بها سيفسد صداقتهما الرائعة

ــ وهل هذا ما حدث ؟ !

ــ لا ، فقد ظل امياس شديد الوفاء لفيليب الى آخر لحظة

ــ وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع الزا جرير ؟

ــ كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع . كان ساخطا على امياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما ، وكان فى الوقت نفسه لا

يشعر بالسرور الخفى لان كارولين سوف تنفصل فى النهاية عن صديقه الوفى

فرفع بوارو حاجبيه فى دهشة وقال :

ــ احقا ؟

ــ هذا هو شعورى الخاص وان كنت غير واثق تماما

ــ وماذا كانت حالته بعد المأساة ؟

ــ كان شديد الحزن الى حد الانهيار . لقد كان فيليب يحب امياس اشد الحب بل كان يراه مثلا اعلى . ولعل هذا هو الذى جعله يزداد كرها لكارولين وسخطا عليها

وبعد برهة صمت . قال ميرديث فجأة :

ــ لقد انتهى كل شىء ، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضى وذكرياته المؤلمة ؟

ــ هذا هو ما ارادته كارولين كريل

ــ كارولين ؟ ! ماذا تعنى ؟

ــ لقد تركت لابنتها كارلا خطابا قصيرا ، وطلبت من المسئولين الا يسلموه لها الا بعد بلوغها الحادية والعشرين ، فهل تعرف ماذا كتبت فى هذا الخطاب ؟

ــ لا . . . طبعا

ــ اقسمت فيه لابنتها ، وهى على فراش الموت ، انها بريئة !

ــ هل . . . أقسمت كارولين . . . على هذا ؟

ــ نعم ، هل ادهشك هذا ؟

ــ جدا ، لو انك رأيتها اثناء المحاكمة ، لما خالجك ادنى شك فى ارتكابها للجريمة . فقد كانت شاحبة ، متهالكة ، مستسلمة لهجمات ممثلى الاتهام ، معترفة بكل شىء تقريبا فيما عدا ارتكابها للجريمة ، اى فيما عدا وضعها السم فى الشراب لزوجها . لقد بدت لى يومذاك الانموذج الكامل للزوجة التى قتلت ــ فى ساعة يأس ــ زوجها الحبيب ، ثم ندمت ، وقررت ان تلحق به . . اما الآن

ــ اما الآن ؟

ــ بعد ان اقسمت فى خطابها لابنتها على براءتها ، فقد بدأت اشك

بل بدات اعتقد انها بريئة حقا ، فانا اعرف تماما ان كارولين كانت من الاشخاص القليلين جدا الذين لا يعمدون الى الكذب لاى سبب ، ولكن . . .

وصمت ميرديث برهة ، وراح ينظر فى ذهول الى بوارو ثم قال :

ـ نعم ، ولكن اذا لم تكن هى ، فمن يكون ! اننى شخصيا لا ارى اى احتمال آخر

ثم أردف قائلا فى حدة لبوارو :

ـ وانت . . . ما رأيك ؟

ـ أنا لا رأى لى . اننى الآن أجمع الحقائق فقط . اننى أريد ان اعرف كيف كانت كارولين ، واميساس ، والاشخاص الذين شهدوا المأساة . اريد ان اظفر من كل واحد من هؤلاء الاشخاص برأيه الخاص ، وبشعوره ، وبرد الفعل الذى تركته المأساة فى نفسه ، وبذكرياته الخاصة عنها . . ومن هذا كله أستطيع أن اصل فى النهاية الى الحقيقة

فقال ميرديث متحمسا :

ـ هذه فكرة صائبة . وأنا متفق معك . ومن حسن الحظ انى احتفظ بمفكراتى القديمة ، ويمكننى ان أكتب لك ، اذا شئت ، تقريرا كاملا عما حدث فى ذلك اليوم ، وفى اليوم السابق عليه . ولكن اسلوبى فى الكتابة ليس كما ينبغى

ـ أوه . . . اننى أريد الحقائق فقط ، اما الاسلوب فلا يهم . وبهذه المناسبة اعتقد أن قصر آلدربرى قريب من هنا . فهل يمكن ان اذهب اليه وارى هذا المسرح الذى جرت عليه احداث المأساة ؟

ـ ممكن جدا ، ولكن كثيرا من التغييرات ادخلت عليه

ـ هل هدم واقيم من جديد ؟

ـ لا . اشترته احدى الجمعيات ، وجعلت منه مصيفا للشباب ، وملأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم

ـ ومن الذى باعه ؟

ـ الوصى على كارلا ، باعه وضم ثمنه الى اموالها التى ورثتها عن أبويها

ـ ألم ترث انجيلا شيئا ؟

ـ لا ، مطلقا ، ولكنها كانت وارثة عن ابيها ثروة صغيرة

ـ آه . فهمت . حسنا . يمكنك يامستر بليك ان تبين لى الاماكن التى تناولها التغيير

ـ نعم . . . نعم . ومن حسن الحظ ان الممرات وحديقة البحر لا تزال كما هى

وفيما هما يسيران ، قال بوارو حين راى البحر امامه :

ـ الى اين نمضى ؟ !

ـ اننا نمضى الى خليج ضيق يمتد من البحر الى داخل اليابسة ، وهذا الخليج يفصل بين ضيعتى وضيعة آلدربرى . ونحن سنعبره الآن بالزورق فى خمس دقائق ، أما اذا سرنا حول نهاية الخليج ، فاننا نصل بعد ساعة ونصف ساعة

ولما عبرا الخليج بزورق خاص ، أردف ميرديث قائلا :

ـ هذا هو الطريق الذى كنا نتبعه منذ القدم الا اذا قامت عاصفة شديدة ، ففى هذه الحالة نستخدم الطريق البرى

وفى الجانب الآخر من الخليج ، شاهد بوارو مجموعة من « الكابينات » المشيدة بالاسمنت ، والمخصصة للسباحة ، وقد أشار اليها ميرديث قائلا :

ـ هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل

وفيما هما يسيران صعدا فى ممر متعرج تحف به الاشجار ، أردف ميرديث قائلا :

ـ من المحتمل الا نلتقى بأحد هنا ، فاننا الان فى شهر ابريل ، ولم يبدأ موسم الاصطياف بعد . وحتى اذا التقينا بأحد ، فلا خوف ، لانى على علاقة طيبة بجميع جيرانى

ولما بدأ الممر يدور حول سور حجرى ، أشار ميرديث اليه وقال :

ـ هذا هو سور حديقة البحر . ونحن نسير حوله الآن فى الطريق الصاعد الى القصر

وسارا مرة أخرى فى منعطفات الممر المحفوف بالاشجار حتى وصلا الى باب حديقة البحر . وكان من الممكن ان يتجاوزاه ويواصلا

لسير في الممر الى القصر ، ولكن ميرديث فتح الباب ، ودخـــــل مع وارو الى حديقة مشمسـة ، ساطعة الضوء ، تقـــوم على هضـبة تشرف على مياه البحر ، وكانت بها بعض الاشجار القليلة واحواض لزهور . وقد قال بوارو وهو يمسحها بنظراته :

ــ مكان شاعرى جميل

واشار ميرديث الى جوسق خشبي متهدم وقال :

ــ هنا كان امياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات البيرة والاقداح . وكان ثمة مقعد مستطيل ، ومنضدة وحامل للرســم . ولا شيء غير هذا

ــ وهناك . . . مات امياس ؟ !

ــ نعم . على المقعــد المستطيل الذى كان موضوعا بالقــرب من جوسق أدوات الرسم . وكان من عادته أن يرقــد فوق المقعــد على وجهه ساعة أو اكثر او اقل ، يفكر ، ويتأمل ، أو ربما يستوحى آلهـــة الفن ، ثم يقفز واقفــا ويعمل بفرشاته كالمجنون فى اللــوحة . وهكذا . . .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

ــ هذا هو السبب الذى جعله يبدو فى نظرى طبيعيا حين غادرت هـــذه الحديقة مع الزا الى طعام العشاء . لقد كنت جالسا فى ذلك المكان المرتفع الذى تراه يشرف على الحديقة من ناحيـــة القصر . فلما دق جرس الغداء ، نهضت ، وهبطت ، وكانت الزا أســبق منى الى الباب ، وكان امياس متهالكا على المقعد يستريح ، وقد علمت من الزا أنه ســيتم ليتم اللمسات الاخيرة من اللوحة . وكان هو ينظر الينا نظرات غريبة لم أفهم معناها فى تلك اللحظات . ولـــكن لم يكن ثمة امارات للالم على وجهه . حمـــدا لله ، وانمـــا كان دون أن ندرى ، فى حالة شلل

ــ ومن الذى اكتشف وفاته ؟

ــ كارولين . . . الزا وأنا كنا آخر من رآه حيا . على كل حال سوف اكتب لك تفاصيل ماحدث بدقة

ـــ الرجلان صعودهما فى الممر المتعرج حتى وصــلا الى هضبة اخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظللها الاشجار ،

وقد قال ميرديث انها المكان الذى كان جالسا فيه ينظر الى أميساس وهو مشغول برسم لوحة الزا

وبعد أن وصلا الى القصر وطافا بحجراته ، ووقفا برهة فى شرفته الكبيرة ، عادا الى شاطىء الخليج عن طريق ممر آخر ، أطول ، حتى اذا بلغا ضيعة هاتدكروس مرة أخرى ، قال ميرديث وهو يدخل ردهة بيته مع بوارو !

ــ لقد اشتريت تلك اللوحة طبعا . اللوحة التى مات أميساس وهو يرسم اللمسات الاخيرة فيها . لم أشأ أن أجعلها تقع فى أيدى جماعة من الغلاظ الحمقى الذين لن يروا فيها الا فتاة جميلة فى سراويل قصيرة تكشف عن ساقيها وأعلى فخذيها ، وجزء كبير من صدرها . فهل تحب أن تراها ؟

فلما أومأ بوارو برأسه ، مضى ميرديث به الى غرفة أدرك بوارو من النظرة الاولى انها غرفة المعمل القديم . فقد كانت زاخرة بالارفف والزجاجات القديمة الفارغة ، ومنضدة فى الوسط . ولما فتح ميرديث نافذتها ، انساب اليها الضوء مع عطر نسائم الربيع

ووقف بوارو يستنشق رائحة أزهار الياسمين ، بينما قال ميرديث :

ــ هنا بالقرب من هذه النافذة كنت واقفا . يا الذكريات . . . كما اقف الآن أشم عطر الياسمين . وكنت أحدثهم ــ بحماقة ــ عن مفعول مختلف العقاقير التى استخرجها من النباتات الطبية

ثم تحرك ميرديث الى الجدار المواجه للنافذة . ورفع غطاء زاخرا بالغبار من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو ينظر فى دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة فى قميص مفتوح أصفر اللون ، وبنطلون قصير أزرق اللون ، جالسة على سياج حجرى من الحجارة القاتمة ، ومن ورائها الافق الازرق البعيد

ورغم ألوان الصورة الصارخة ، المتنافرة ، فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فنى ينم عن عبقرية خاصة وموهبة أصيلة . عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب ، وبالحيوية ، أما عيناها ! فان بوارو شعر برعدة تسرى فى جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المفعم بالجاذبية والفتنة والتوثب



ورفع ميرديث غطاء زاخرا بالغبـــار من فوق لوحة فنيـــة ، واذا بوارو
ينظر فى دهشة واعجاب الى صـــورة زيتية لفتـــاة جميـــلة . . .

وقال بوارو وهو يشير بيده الى اللوحة :

ـ انها ، حقا ، عمل فنى عظيم . . . عظيم جدا

وقال ميرديث بانفاس لاهثة :

ـ ولشد ما كانت متوثبة بالشباب والجمال !

ـ نعم بالشباب . . . الشباب الذى اجتمعت الآراء على أنه . . . الشباب القوى الطائش ، القاسى ، العنيف

وفيما هو يغادر الغرفة مع ميرديث ، توقف برهة ، واستدار الى الصورة ، ورأى العينين تحدقان النظر فيه ، وشاهد فى نظرات العينين شيئا عجيبا ، مثيرا . وفهم بوارو هذا الشىء ، ولكن ترى كيف يكون الحال لو انه اخطأ الفهم ؟ فهل ستصارحه صاحبة العينين ، وهى لم تزل على قيد الحياة ، وفى أوج الانوثة ، بكل شىء ! !

أم أن المراة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التى كانت منبعثة من عينيها اثناء التصوير ؟ انها نظرات فتاة أحبت . . . أحبت بكل كيانها . . . بكل قطرة فى دمائها . . . بكل خلجة من اعماق نفسها ، وانتعشت بالانتصار فى الحب ، ورات الدنيا كلها مختزلة فى وجه الحبيب ، ثم جاء الموت ، واختطف منها الحب ، والامل ، والسعادة ، واطفأ ذلك النور المقدس من العينين ، وحل محله ، باللهول !

ترى ما شكل عينى الزا جرير الآن !

وغادر بوارو الغرفة ، بعد ان القى نظرة اخيرة

وقال لنفسه :

ـ لقد كانت متوثبة بالحياة الى حد . . . التحفز

ومرة أخرى سرت فى جسده رعدة خفيفة

الفصل الخامس

ذات العينين الحزينتين

كان كل شيء في قصر الورد ديتشسام ينم عن الثراء والترف ، بل ينم عن الرغبة في اقتناء الافضل والاثمن . وهناك ، في احدى قاعات الاستقبال الفاخرة ، وقف بوارو أمام الليدي ديتشسام ، بعد ان اذنت له بالمقابلة ، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفأة فاخرة

وكانت أول عبارة وردت بذهن بوارو ، وهو يرى الليدى ديتشسام ، أى الزا جرير ، هي : « لقد ماتت في شبابها ! »

لقد خامره الشك ، برهة ، في أن هذه السيدة ، هي نفسها الزا جرير ، التي شاهد صورتها في غرفة معمل المستر ميرديث بليك .. لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحيوية والشباب الفائر الثائر .. أما هنا ، أما هذه السيدة ، فليس فيها من امارات الشباب شيء . نعم ان الجمال موجود ، وموفور ، وناضج ، ولكن الشباب ، الحيوية ، البهجة ، الحماس ، اللهفة الشوق الى المجهول. الامل في الغد ، كل هذا لم يكن موجودا

ان بوارو يذكر في تلك اللحظة مأساة روميو وجولييت ، لقد ماتت جولييت لانها لم تطق البقاء بعد روميو ، أما الزا ، فانها بقيت على قيد الحياة ... ميتة !

وكانت هي تتحدث بصوت رتيب رنان :

ـ تفضل بالجلوس يا مسيو بوارو،وثق انني مهتمة بالموضوع الذى أجله جئت

وقال هو لنفسه :

« لا ... انك كاذبة ، ان كل شيء ينم على أنك لم تعودي تهتمين بشيء ... اى شيء »

وبصوت مرتفع قال :

ـ انني يا سيدتي مرتبك ، مرتبك جدا !

ـ لماذا ؟

ـ لاني أدرك ان الحديث عن الماضي ، عن هذه المأساة بالذات ، مؤلم لك

فابتسمت وقالت :

ـ هذا لانك تعتقد انني سيدة مرهفة المشاعر ، والواقع انني ابعد الناس عن المشاعر المرهفة . انني امرأة واقعيـــة ، لا مجـال للخيال في حياتي . لقـد كان ابي كما تعلم صبي طحان ، وظـل يجـاهد في الحياة حتى نجح وكون ثروة طـائلة . والرجل العصامي ، عادة ، لا يعرف شيئا اسمه الاحساسات المرهفة

وقال بوارو لنفسه :

« نعم ، صـدقت فلو كنت مرهفة المشاعر ، لمـا جرؤت على الذهاب الى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد »

وعادت هي تقول :

ـ ماذا تريد أن تعرف مني ؟

ـ هل انت واثقة يا سيدتي أن الحديث عن هـذا الموضـوع لا يؤلمك ؟

وترددت برهة . وأدرك بوارو فجأة ، ان هـذه السيدة الجالسة معه ، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ الى الكذب للضرورة واخيرا قالت :

ـ ان هذا الموضوع ، أعني الحديث عنه ، لا يؤلمني ، واني المتمنى لو انه يشير الي

ـ لماذا ؟

ـ لان من قسوة الحيـاة أن يعيش الانسان بدون مشاعر او احساسات

وعاد بوارو يؤكد لنفسه قائلا :

« نعم ان الزا جرير قد ماتت »

وقال بصوت واضح :

ـــ على كل حال ان موقفك هذا ييسر مهمتى ، فشكرا

ـــ ماذا تريد ان تعرف !

ـــ اتتمتعين بذاكرة قوية يا سيدتى ؟

ـــ نعم

ـــ وواثقة تماما أن الحديث عن هذه المأساة لا يثير اشــجانك وآلامك ؟

ـــ اؤكد لك اننى ، حتى أثناء المحاكمة ، لم اكن اشعر بالالم ، بل على العكس ، لقد استمتعت بها برغم سخط الجماهير على ، لقـد كان محامى الدفاع قاسيا على ، ولكنى عرفت كيف أحاربه وانتصر عليه . نعم كانت أيام المحاكمة كلها مثيرة رائعة ، ولشـد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدور حكم الاعدام على كارولين

وتطلع بوارو الى يدى الزا ديتشام . يدان جميلتان ... ولـكن بأظافر طويلة معقوفة كالمخالب !

وعادت هى تقول :

ـــ لعلك تظن اننى امرأة قاسية لا ارحم . نعم هذه هى الحقيقة . اننى لا اشعر بالرحمة لمن يسىء الى . ولقد أساءت تلك المـــرأة الى اساءة لا تغتفـر ، اساءة حطمت حياتى كلها ، كانت تعـــلم أن امياس يحبنى ، وانا احبه بكل ذرة من كيانى ، واننا سنتزوج حالما يتم طلاقه منها . ومع ذلك قتلته حتى لا اسعد بالحياة معه

وشردت نظراتها وهى تردف قائلة :

ـــ فهل هناك اساءة أشد من هذه !

ـــ الم تحاولى أن تلتمسى لها العذر ؟

ـــ لا ، مطلقا . اننى كما ذكرت امرأة واقعية ، اذا خسر الانســان المباراة ، فيجب أن يعترف بالهزيمة . واذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ بزوجها ، فيجب أن تفرج عنه وتطلـق سراحه . اننى لا افهـــم معنى احتفاظ امرأة بزوج لا يريد الحياة معها

ـــ لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به ؟

ـــ لا اظن ... اننا لم تكن ...

ثم توقفت فجأة عن الحديث ، وابتسمت . وشعر بوارو بشىء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفتيها ، ولكنها اردفت قائلة :

ـ احب اولا ان ابين لك بوضوح ان امياس كريل لم يقع فى حبائل جاذبية فتاة بريئة صغيرة معجبة به . انا التى أوقعت به فى حبائلى لقد التقيت به فى حفلة ، واحببته من اول نظرة ، وقررت ان اضع نفسى ، وثروتى ، واعيش بجانبه كالجارية

ـ رغم انه زوج ووالد ! !

ـ نعم ، ولم لا ؟ لقد كان شقيا فى حياته الزوجية ، فلماذالايسعد بالحياة معى ، ان للانسان فى هذه الدنيا حيـــاة واحدة فقط

ـ ولكن المعروف انه ، رغم كل شىء ، كان سعيدا مع زوجته !

ـ لا لا . كانا يتشاجران دائما ، وكانت هى تطلق عليه لسانها السليط كل يوم تقريبا . كانت زوجة لعينة . لعنها الله

ونهضت الزا ديتشام واقفة ، واشعلت لفافة تبغ ، ثم قالت :

ـ قد اكون قاسية عليها ، ولكننى اعرب عن شعورى نحوها ، وعن كراهيتى لها وحقدى عليها

ـ لا شك انها كانت ماساة عنيفة .

ـ نعم . ماساة عنيفة ... قاسية... رهيبة...ماساة قتلتنى، اماتتنى ... جعلت حياتى خواء ... خالية ... فارغة ..

ثم لوحت بيدها واردفت قائلة :

ـ اصبحت كسمكة ميتة ... محشوة للزينة !

ـ الى هذا الحد كان امياس كريل يهمك ؟

فاومات براسها ايماءة اكدت بها لبوارو ان امياس كان ، بالنسبة لها ، كل شىء فى الحياة ، ثم قالت :

ـ انني يا مسيو بوارو امرأة عنيدة منذ طفولتى ، وقد كان من الممكن ان اقتل نفسى بعد امياس ، ولكننى لم افعـــل ، فان قتـل نفسى معناه الهزيمة امام الحياة . وانا لم اتعود الاعتراف بالهـزائم

ـ وبعد هذا ؟

ـ لا شىء . قررت ان اقاوم واتغلب على الصـــدمة واعيش . ولم يعد الامر بالنسبة الى الآن الا ذكرى ... مجرد ذكرى

وبعد برهة من الصمت اردفت قائلة :

ـ اننى لم اكن فى يوم ما منافقة ، او مرائيـــة ، وانمـــا اسير على المثل الاسبانى القـــائل : « خذ ما تريد وادفع الثمن ... هـكذا الحياة » . وانا افعل هذا . احاول ان اظفـر بكل ما اريد دون ان اخشى من دفع الثمن

ـ ولكن فى الحياة اشياء كثيرة لاتباع !

ـ نعم . ولهـــذا فأنا لا اقصد بكلمة « الثمن » المـال دائمـــا ، فان الثمن يتوقف على طبيعة الشيء الذى تريده

ـ انني أفهم ما تعنين ، ولكن ، مع هذا ، فان ثمة اشياء كثـيرة لا تباع بالمال أو بغير المال

ـ كلام فارغ

وابتسم فى رفق ، بينما أردفت هى قائلة :

ـ حدثني عن هذا الكتاب الذى تنـوى شركة النشر اصـداره . ما الغرض منه ؟

ـ اى غرض يمكن ان يكون أكثر من ربط احداث الماضى بمثيرات الحاضر ؟

ـ ولكنك لست كاتبا ؟ !

ـ لا . ولكنى خبير بالكشف عن الجرائم

ـ هل تعنى انك مكلف بتحقيق هذه الجريمة ؟

ـ مكلف بالوصول الى الحقيقة . . . أيا كانت

ـ ممن ؟ !

ـ من كارلا لامرشانته ؟

ـ من هى ؟ !

ـ انها ابنة كارولين واميياس كريل

ـ آه . . حقا . . كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة . . لاشك انها كبرت الآن

ـ نعم . انهـــا الآن فى نحو الحادية والعشرين ، طـــويلة ، رشيقة ، رائعــــة الجمـــال . واعتقد انهـــا قوية الشخصية موفورة الشجاعة

ـ انني اتمنى أن اراها

ـ ولكنها قد لا تريد أن تراك

ـ لماذا ؟ آه . . . فهمت ، ولكن من المحتمل انهـــا لا تذكر شـــيئا مما حدث ، فانها لم تتجاوز يومـــــئذاك الخامسة أو السادسة من عمرها

ـ انها تعرف أن أمها حوكمت بتهمة قتل ابيها

ـ ولا شك أنها تعتقد أنني السبب المباشر في كل ما حدث

ـ محتمل ... أو مرجح ...

فهزت الزا كتفيها وقالت :

ـ يا للحماقة ؟ ان كارولين في الواقع هي السبب ، فلو أنها كانت واقعية في تصرفاتها لما ...

ـ اذن فانت لا تشعرين بأية مسئولية فيما حدث ؟

ـ لماذا أشعر ؟ ليس هناك ما يدعوني للخجل .. مطلقا . لقد احببته ، وكنت أريد أن أسعده . انني لا أدرى كيف اجعلك تنظر الى الامر من زاويتي ، فلو أنك كنت تعلم حقيــــقة الجو المحيــــط بالمأساة ...

فانحنى بوارو في لهفة وقال بسرعة :

ـ هذا ما أريد أن أعرفه ، فعلا ، وقد وعد المستر فيليب بليك بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث ، وكذلك وعد المستر ميرديث بليك ، فاذا سمحت أنت ...

فتنفست بعمق وقالت باحتقار :

ـ ان هذين الاخــــوين كانا دائما أحمقين .. كان فيليب يخفي غرامه بكارولين تحت ســـتار من الكراهية ، وكان ميرديث يتمنى رضاها ، ولكنه انسان طيب ، ساذج . أكبر ظني أنك لن تظفر بشيء ذي بال من تقريرهما

وصمتت برهة قبل أن تقول فجأة :

ـ هل تريد الحقيقة ، الحقيقة لذاتها ، لا للنشر والاثارة ؟

ـ انني لن أنشر شيئا الا باذنك

ـ لشد ما اصبو الى كتابة الحقيــــقة ، نعم ... الى شرح موقفي الحقيقي من هذه المأساة .. الى افهام الناس أن الحب ليس خطيئة .. وليس ذنبا .. وان من حق كل انسان أن يحب .. وأن يتحرر من قيود الشقاء .. وأن يبحث عن السعادة .. نعم أريد أن أكشف للناس حقيقة تلك المرأة التي فضلت الموت لزوجها على اطلاق حريته

والتمعت عينا الزا فجأة ببريق غريب ، وأردفت قائلة :

ـ قتلته .. قتلت أمياس .. أمياس الذى كان يريد أن يعيش ، وأن ينعم بالحياة ، لا ينبغي أن يكون الحقد اقوى من الحب في هــذه

الدنيا .. ولكن الحقد أعمى .. فعلا .. وانى لأحقد عليهـا .. اكرهها .. اكرهها .. اكرهها ..!

ونهضت اليه ، وامسكت بكم سترته ، واستطردت تقول بصوت كالفحيح :

ـ ينبغى أن تفهم .. نعم ينبغى أن تدرك تماما كيف كـان الحب بيننا ـ أنا واميـاس ـ لسوف أطلعك على شيء

واستدارت بسرعة ، وفتحت درجا صغيرا ، وتناولت منه خطابا قدمته الى بوارو وهى تقول :

ـ اقرأ هذا .. اقرأ لكى تفهم مدى الحب الذى كان يربط بيننا

« الزا .. يا طفلتى المدهشة العجيبة التى ليس لها مثيـل فى الدنيا .. اننى خائف .. اننى أكبر منك سنا .. رجل فى منتصف العمر .. دموى المزاج .. متقلب الاهواء .. لا مبادىء له أو مثل عليا .. لا تثقى فى .. لا تؤمنى بى .. اننى رجل شرير ، وان كنت فنانا نابغة .. ان أجمل وأعظم ما فى نفسى ، أسكبه فى فنى فقط .. فلا تقولى يوما اننى لم أحذرك

« حسنا يا حبيبتى .. اننى ، برغم كـل شىء ، سأظفر بك .. اننى على استعداد ، كما تعلمين ، لمحالفة الشيطان من أجلك ، ومن أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يمسك جنبيه من فرط الدهشة والاعجاب .. اننى مجنون بك .. اننى لا أستطيع النوم ، ولا الطعام .. الزا .. الزا .. اننى ملك يمينك الى آخر العمر . أمياس »

ورفع بوارو عينيـه ونظر الى الزا ، وبدت له فى تلك اللحظة متوهجة الوجنتين ، وكأنما عادت الى الوراء ستة عشر عاما . وكأنما لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب فى اذنيها ...

الفصل السادس

مس وليامز تتحدث

قالت مس ويليامز فى لهجة جادة حاسمة :

ـ هل أستطيع أن أسألك يا مسيو بوارو لماذا ؟

وكان بوارو قد صعد بعد عناء الى الغرفة الوحيدة التى تقيم بها مس ويليامز ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال .. كانت مس ويليامز جالسة أمامه ، على أريكة قديمة ، بوجهها المغضن ، اذكانت قد بلغت الستين من عمرها ، وكانت تردد :

ـ انك تريد ذكرياتى عن مأساة أمياس كريل وزوجته ، فهل لى أن أسأل لماذا ؟

وشعر بوارو أنه ، أمام هذه السيدة التى قضت حياتها فى تربية وتعليم الاطفال ، لا يستطيع أن يكذب ، وكانما هو ، قد تحول فجأة، الى طفل أمام مربيته الحازمة . ومن ثم لم يسعه الا أن يذكر لها الحقيقة كاملة . وانصتت هى اليه فى اهتمام ، ثم قالت أخيرا :

ـ كيف حال هـذه الطفلة المسكينة الآن ؟ لا شك أنها كبرت واصبحت شابة !

ـ نعم ... وجميلة ، وقوية الشخصية،وشجاعة القلب.ويمكننى القول ، انها أيضا قوية الارادة ، وهى مصرة على أن تصل الى الحقيقة بأى ثمن !

ـ هل تتمتع بمزاج فنى كأبيها

ـ لا أظن

ـ حمدا لله .. اذن فهى أقرب الى أخلاق أمها من أبيها

ـ أعتقد هذا .. ويمكنك أن تتأكدى من هذه الحقيقة اذا رأيتها

ـ انني أحب أن أراها . فقد اعتقدت دائما أن أسعد برؤية الاطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا ونساء ...

ـ من حسن حظها انها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والديها ..

ـ نعم .. مؤكد .. لو انها كانت أكبر ، لتركت الصدمة في نفسها اثرا لا يمحوه الزمن ..

ـ بهذه المناسبة يا مس ويليامز .. هل استطيع أن أعرف رأيك عن العلاقة الحقيقية التي كانت بين كارولين وابنتها الطفلة كارلا .. هل كانت بالنسبة لها أما مثالية ؟

فصمتت مس ويليامز برهة ثم قالت .

ـ نعم الى حد ما .. كانت تهتم بها ، وتُعنى بصحتها وتقوم على رعايتها كأحسن ما تكون الرعاية . ولكنها ، مع هذا ، كانت متفانية الى حد التضحية بالنفس في حب زوجها أمياس .. لم أشهد في حياتي زوجة أحبت زوجها بمثل هذه القوة والتفاني ... كانت تعيش فيه . وبه ، ومن أجله .. واعتقد أن هذا يفسر الدافع الذي جعلها تقضي عليه حتى لا تراه بين ذراعي امرأة أخرى

فقال بوارو في دهشة :

ـ هل تعنين أنهما كانا أقرب الى عاشقين منهما الى زوجين ؟

ـ أعتقد هذا برغم المشاجرات التي كانت تقوم بينهما

ـ وهل كان مخلصا لها كاخلاصها له ؟

ـ نعم .. ولكنه اخلاص كاخلاص الرجال !

وصمتت برهة ، وأدرك بوارو من لهجة صوتها وهي تنطق بالكلمة الاخيرة مبلغ حقدها على الرجال عموما ، ومن ثم قال باسما في رقة :

ـ يبدو أن لك رأيا خاصا في الرجال ؟

فقالت بجفاء :

ـ ان الرجال هم الذين يحكمون هذا العالم .. وهم الذين يملأونه بالحروب والفساد والشر .. وأنا ارجو الا يدوم هذا طويلا

ونظر بوارو اليها برهة متأملا ، ثم قرر أن يخرج بها من النظرة العامة الى الخاصة نحو الرجال ، فقال :

ـ كأنك لم تكوني تحبين أمياس كريل ؟

ـ نعم ·· لم أكن اميل اليـــه أو أرضى بتصرفاته · ولو كنت زوجته . لما قبلت الحياة معه بأى ثمن ، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها

ـ ولكن مسز كريل كانت تحتملها

ـ نعم

ـ كانك كنت تعتقدين أنها مخطئة فى هذا الاحتمال !

ـ نعم ·· ينبغى على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضـــع للاذلال المهين

ـ هل حدثت مسز كريل برأيك هذا أثناء اقامتك معها ؟

ـ طبعا لا ·· ولمـاذا افعل ؟ لقد كنت مكلفة بالتدريس لانجيلا وارين ، لا لاسداء النصائح لهذا أو ذاك

ـ ولكنك كنت تحبينها !

ـ نعم ·· أحبها أشد الحب ·· ولشد ما حزنت عليها ولأجلها

ـ وتلميذتك ، انجيلا وارين ؟

ـ كانت فتاة عجيبة ، من أعجب الفتيات اللاتى درست لهن : عقل ذكى ، وشقاوة ، وسرعة غضب ، وجموح ·· ولكنها ، مع عـــدا ، كانت لطيفة خفيفة الظل

ثم صمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ وكنت أشعر دائما أنها ستنجح فى الحياة وتحرز شهرة واسعة ومركزا رفيعا ، وهذا ما حدث فعلا ·· هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية » ؟· وهل علمت أنهـا هى التى اكتشفت بعض مقابر الملوك فى مديرية الفيوم بمصر ؟ اننى فى الواقع شديدة الفخر بها ·· حقا اننى لم أبق معها فى آلدربرى غير عامين ، ولكنى أعتقد أنى استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها فى هذا الطريق··طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ

فقال بوارو :

ـ لقد علمت أنه كان قد تقرر ارسالها الى المدرسة ، ولا شك أنك لم تكونى موافقة على مثل هذا القرار ؟

ـ لا ·· لا ·· بل بالعكس ·· كنت من أشد المؤيدين لتنفيذه .

ولسوف أخبرك لماذا .. فقد كانت انجيلا ، حين بدأت التدريس لها في سن الثالثة عشرة .. وهي سن خطرة مضطربة في حياة الفتيات .. وقد زادت حالة الاضطراب في خلال العامين اللذين أمضيتهما معهما .. كانت ميالة بطبيعتها الى تدبير « المقالب » والتمادي في العبث والمداعبة ، وكانت تنتابها حالات مفاجئة ، فهي حينا غاضبة ثائرة ، وهي حينا حزينة منقبضة النفس بضعة أيام ، ثم اذا هي تعود فتنطلق ، وتتسلق الاشجار ، وتجري هنا وهناك في الحديقة الواسعة ، غير حافلة بأوامر أحد ، أو خاضعة لرغبات أحد !

وتوقفت مس ويليامز برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ ... وعندما تبلغ الفتاة مثل هذه المرحلة ، فان المدرسة خير علاج لها .. لاسيما اذا كانت البيئة المنزلية غير مناسبة لها .. فقد كانت مسز كارولين تسرف في تدليلها والدفاع عن أخطائها .. وكانت النتيجة أن اصبحت انجيلا ترى من حقها أن تكون لها الاولوية دائما في اهتمام أختها وعواطفها .. ورفض كريل بطبيعة الحال ، هذا الوضع .. فما من رجل يرضى أن تضعه زوجته في المكان الثاني بعد أختها .. وحدث الاحتكاك المنتظر بين كريل وانجيلا .. فكان يسرف في تعنيفها أحيانا ، وكانت ترد عليه العنف بأشد منه ، بل كانت تنتقم منه أحيانا بوسائل صبيانية ثقيلة ، كأن تضع الخنافس في فراشه أو ملابسه ، أو شيئا مرا في شرابه .. وكانت آخر دعابة ثقيلة أن وضعت عشر خنافس في فراشه ، وكان هو يشمئز من هذه الحشرة أشد الاشمئزاز .. وقد ثار بطبيعة الحال وأقسم أن يلحقها بمدرسة داخلية .. وثارت هي ، بدورها ، على هذا القرار .. ولكنني تعاونت مع أختها على اقناعها ، وهكذا تقرر أن تلتحق بمدرسة هولتون .. وهي مدرسة جميلة تقع في الشاطيء الجنوبي .. ولكن انجيلا ، مع هذا ، ظلت ساخطة ، وكذلك شعرت كارولين بالحزن لحرمانها من رعاية أختها .. ومما زاد الامر سوءا تلك الحالة التي طرأت على العلاقة الزوجية بين مستر ومسز كريل

ـ أتقصدين ظهور الزا جرير على مسرح حياتهما !

ـ نعم

ـ ما رأيك فيها

ـ كانت فتاة جريئة وقحة ليس لها مبادىء سامية

ـ لقد كانت صغيرة ... طائشة ؟

ـ لا .. كانت في السن التي تجعلهـــا تفهم وتدرك ما يضر وما ينفع ، انني لا ألتمس لها أى عذر

ـ ولكنه الحب يا مس ويليامز

ـ الحب ؟ هل يمكن للانسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشـــذوذ تصرفاته بالحب ؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجـــلا متزوجا .. وأن تقبل الحياة معه فى بيت الزوجية ؟ وأن تتحدى زوجته علنا بقولها انها ستأخذ منها زوجها ؟ ان هذا ليس حبا .. وانما سوء تربية ..

ـ لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبة لها !

ـ نعم .. بكل تأكيد .. ولكنها هى المسئولة عن موته .. انني ألتمس العذر كل العذر لمسز كريل ، فأنا نفسى ، كنت أشعر أحيانا بالرغبة فى قتل المستر كريل وحبيبته الوقحة .. انني لم أر فى حياتى رجلا يتمادى فى تحديه لشاعر زوجته المحبة له ، الى هـــذا الحد .. ان الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل .. وقد نال أمياس جزاءه العادل

ـ كأنك تشعرين بقدسية العلاقة الزوجية ؟!

فنظرت اليه برهة ، ثم قالت بقوة :

ـ نعم .. ليس فى الحياة ما هو أقدس من الرابطة الزوجية .. ان الاستهانة بها جريمة لا تغتفر لاسيما اذا كانت الزوجة متفانيـــة ـ مثل كارولين ـ فى حب زوجها .. وقد استهان كريل بقدســـية الرابطة الزوجية الى حد لم يسبق له مثيل ..

ـ أنا معك فى هذا .. ولكنه كان فنانا موهوبا ..

نعم .. نعم .. هذا هو العذر الوحيـــد الذى كان أصـــدقاؤه يحاولون به تبرير أعماله .. ولكنني شخصيا أعتقد أن الفن الاصيل يسمو بالفنان الى مراتب السمو والكمال والخلق الكريم ..

وبعد برهة من الصمت ، قال بوارو فجأة :

ـ لقد كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت موت زوجها !

ـ نعم .. لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء .. كانت هى فى طريقها الى زوجها لترى اذا كان فى حاجـــة الى شىء ، وكنت أنا فى طريقى الى الشاطىء لابحث عن صديرية صوف لانجيلا التى كانت

متعودة على اهمال بعض ملابسها الخارجية فى كل مكان ٠٠وافترقنا عند باب حديقة البحر ٠٠ ولكنى ما أن سرت بضع خطوات حتى سمعت صيحة مسز كريل . فعدت اليها مسرعة ، حيث رأيت المستر كريل راقدا على المقعد المستطيل بجانب حامل الرسم ميتا٠٠ميتا منذ ساعة على الاقل

ـ هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها ؟

ـ ماذا تعنى بهذا السؤال ؟

ـ انني أريد أن أعرف شعورك الخاص عن هذا الموقف

ـ آه ٠٠ فهمت ٠٠ أعتقد أنها كانت فى حالة ذهول ٠٠ ولكنها طلبت منى أن أسرع لاستدعاء طبيب ٠٠ فنحن لم نكن طبعا ، واثقين تماما من موته ٠٠ أو ليس لنا الحق فى هذه الثقة ٠٠

ـ وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا ؟!

ـ لا ٠٠ وانما التقيت فى الممر بالمستر ميرديث بليك ، فكلفتـه بالقيام بهذه المهمة ، ثم أسرعت عائدة الى مسز كريل ٠٠ فقد خشيت أن تسقط مغشيا عليها ٠٠

ـ وهل وجدتها فى هذه الحالة فعلا ؟!

ـ لا ٠٠ كانت ثابتة ٠٠ هادئة تقريبا ٠٠ أثبت واهدأ بكثير من الزا جرير التى كانت ، حين بلغها النبأ ، فى حالة عصبية رهيبـة حتى كادت أن تقتل كارولين لو أتيحت لها الفرصة

ـ هل معنى هذا أنها أدركت فورا أن كارولين هى قاتلة زوجها ؟

فكرت مس ويليامز برهة ثم قالت :

ـ لا أظن أنها كانت واثقة تماما أن كارولين سممت زوجهـا ، ولكنها ارتابت فى هذا فورا ، وكانت تصرخ فىعصبية رهيبة قائلة: « كل هذا بسبب تصرفاتك يا كارولين ، لقد قتلتـه ، والذنب كله عليك » ٠ ولكنها لم تقل بصريح العبارة : « لقد سممته »

ـ وماذا كان شعور مسز كريل ؟

ـ الواقع انني لا أستطيع أن أحددشعورها تماما فىتلكاللحظات، هل كان الفزع الذى سيطر عليها أم الحزن أم الندم

ـ هل بدا عليها شىء من هذا ؟

ـ لا أدرى تماما ، أنها كانت أقرب الى الذهول منها الى أى شىء آخر

ـ حسنا .. وماذا كان رأيها فى مقتل زوجها ؟

ـ كانت تعتقد ، كما ذكرت باصرار فى المحاكمة ، أنه انتحر

ـ هل ذكرت لك هذا حين تحدثت معك على انفراد ؟

ـ نعم .. حاولت أن تقنعنى بأنه انتحر ..

ـ وماذا كان رأيك أنت ؟!

ـ هل من المهم أن تعرف رأيى يا مسيو بوارو ؟

ـ نعم اذا سمحت ..

ـ لقد حاولت ان أوافقها على هذا الرأى ..

ـ معنى هذا أنك لم تكونى موافقة مطلقا ..

ـ نعم .. لم أكن معتقدة أنه مات منتحرا .. ولكنى ، فى الوقت نفسه ، كنت أثناء المحاكمة ، فى جانب مسز كريل ضد الاتهام ..

ـ كنت تتمنين أن يحكم ببراءتها ؟

ـ نعم .. من صميم قلبى

ـ كانت مقدرة شعور ابنتها فى محاولتها البحث عن الحقيقة ؟

ـ نعم كل التقدير

ـ ألديك ـ اذن ـ مانع فى كتابة ذكرياتك عن المأســاة فى دقة وتفصيل بقدر الامكان !

ـ وهل ستقرأ كارلا هذا التقرير ..

ـ نعم بالتأكيد

ـ حسنا .. اننى لا أمانع .. ولكن..هل هى مصرة كل الاصرار على أن تصل الى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة ، مهما تكن مرارة هذه الحقيقة ؟

ـ نعم .. بلا شك ..!

ـ انى متفقة معك فى هذا .. فخير للانسان أن يستريح الى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالاوهام .. وأعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الايام ..

ـ ولكنها فى الوقت نفسه تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها ..

ـ يا لها من مسكينة . ان الحقيقة ستثبت عكس ما ترجو وتأمل

ـ أواثقة أنت من ادانة مسز كريل الى هذا الحد ؟!

ـ نعم .. بالتأكيد

ـ وما رايك اذا علمت أن مسز كريل تركت لابنتهاخطابا اقسمت فيه ، وهى على فراش الموت انها بريئة ؟

ـ لقد اخطأت جدا فى هذا القسم ان مسز كريل دائما شجاعة ، وصادقة ، وميالة للخير ٠٠ وكان الاجدر بها أن تعترف بحقيقةجرمها لابنتها ٠٠ فليس ينبغى أن يكون للعواطف مجال فى ساعة الموت٠٠

ـ اذن فانت واثقة تماما أنها كاذبة فى هذا القسم على براءتها ؟!

ـ كل الثقة ٠٠

ـ ومع ذلك تقولين انك وقفت بجانبها ضد الاتهـــام وانك كنت تحبينها ؟!

ـ نعم ٠٠ كنت أحبها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بانى واثقة تماما من ادانة مسز كريل لانى رأيت بعينى ما يثبت الجريمة عليها، ولكننى لم أذكر هذا أثناء المحاكمة ، لان أحدا لم يسألنى فى هـــذه النقطة



الفصل السابع

انجيلا وارين

كان مسكن انجيلا وراين يشرف على حديقة ريجنت بارك الفاخرة ، وكان الهواء فى ذلك اليوم من ايام الربيع ينساب من النافذة الى جوانب المسكن ، رقيقا ناعما منعشا يثير فى النفس الشعور بجو الريف ، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحركة المرور بالشارع

واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع أقدام انجيلا فى الغرفة ولم تكن اول مرة يرى فيها انجيلا ، فقد سبق أن استمع الى محاضرة لها فى قاعة الجمعية الجغرافية ، وكان قد أعجب بها اعجابا لا حد له . كانت بارعة فى الالقاء ، رائعة فى التعبير ، ثابتة الاعصاب ، غزيرة العلم ، لا تتردد ، ولا تكرر نفسها ، ولا تعجز عن الاجابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة

ولم ير ، اثناء المحاضرة ، الجانب المشوه من وجهها . أما الآن وهو يراها عن كثب ، فقد لاحظ اثر الجرح العميق الممتد من طرف عينيها اليسرى الى نهاية خدها . ولم تكن العين مغلقة ، وانما كانت ، فى الظاهر ، تبدو سليمة رغم فقدانها قوة البصر تماما وقد خطر لبوارو ، وهو يرى انجيلا بقامتها الطويلة ، ووجهها الباسم ، وجبينها العريض المشع بالعلم والذكاء ، أنها الشخصية الوحيدة التى نجحت تماما فى الحياة من بين الشخصيات الخمسة التى شهدت المأساة . لقد نجح فيليب بليك حقا فى جمع المال . ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا فى الحياة ، أما ميرديث فقد ظل ، كما كان ، جامدا ، لا يتطور مع الزمن ، وكأنما كان يعيش فى العصور الماضية . وبدأت الزا جرير حياتها بالجمال والشباب

والمال والحب ، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من أسعد الناس في الحياة ، فاذا بها ، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء .
نعم ، فليس هناك من هو أشقى من الانسان الميت الحي !

اما مس ويليامز ، فقد عاشت ، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة الى عقول التلاميذ ، تعطي في الحياة ولا تأخذ . وقد أخذت منها الحياة كل شيء ، ولم تعطها شيئا

اما انجيلا ، فقد عرفت ، رغم تشوه جانب وجهها ، كيف تظفر بذكائها وشجاعتها وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء : بالمال ، والشهرة ، والمجد ، والسعادة

ولم يكن الثمن غير هذا الاثر المشوه لجانب وجهها

ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما ألفته

وادرك بوارو ايضا ان انجيلا ليست من النوع الذي يحتاج معه الانسان الى اللف والدوران في الحديث ليصل الى غرضه ، ومن ثم تحدث معها بصراحة عن زيارة كارلا لامرشانت له . وعندئذ اضاء وجه انجيلا بابتسامة عذبة ، وهي تقول :

ــ آه ، كارلا الصغيرة ؟ أهي هنا ؟ اود ان اراها . فما اشد شوقي اليها !

ــ الم يكن بينكما اتصال بريدي خلال هذه الاعوام الطوال ؟

ــ اتصال بسيط جدا . فقد كنت ، بعد المأساة ، في مدرسة داخلية خارج البلاد ، وكانت هي في كندا ، ولم نتبادل الا بعض الهدايا البسيطة في اعياد رأس السنة ، وكنت اعتقد انها ستبقى دائما في كندا ٠ فاني لا أجد أي سبب يدعوها الى العودة هنا

فقال بوارو :

ــ نعم . فقد كانت في جو جديد ، وفي بيئة جديدة ، وتحمل اسما جديدا . ولكن يبدو ان المسألة بالنسبة لها لم تكن في مثل هذه السهولة !

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشاب الذي يبادلها الحب ، وعن رغبتها في الوصول الى الحقيقة عن مأساة والديها ، وعن ايمانها العميق ببراءة أمها . وعندئذ قالت انجيلا بحماس :

ــ انني أتمنى لها من صميم قلبي أن تنجح في هــذه المهمة . ويسرني أن اقدم في هذا السبيل كل مساعدة ممكنة

ــ اذن فانت تعتقدين ان هناك احتمالا في اثبات براءة مســـز كريل

ــ انني شخصيا أومن تماما ان كارولين لم ترتكب هذه الجريمة هذا هو رأيي منذ اللحظة الاولى

فغمغم بوارو قائلا :

ــ انك تدهشينني بهذا الاعتراف يامس وارين ، فان الجميــع يعتقدون غير هذا !

ــ ان لهم العذر ، فقد كانت الادلة كلها ضد اختي ، ولكني أعرف عن يقين أن كارولين لم يكن في مقدورها ان ترتكب اية جريمــة قتل

ــ هل يمكن لاى انسان ، ان يثق ثقة تامة بان أى انسان آخــر منزه عن ارتكاب جريمة قتل ، مهما تكن الظروف والاحوال

ــ لا يمكن طبعا في بعض الحالات ، وانا اتفق معك على أن الحيوان الآدمي كفيل بارتكاب اية جريمة في بعض الظروف الخاصة . اما في حالة كارولين ، فان لدى من الاسباب ما يجعلني اومن بانهــا آخر من يرتكب جريمة قتل . وانا أقدر هذه الاسباب أكثر من اى شخص آخر

ثم لمست اثر الجرح العميق على خدها واردفت قائلة :

ــ اترى هذا ؟ لعلك قد عرفت كيف حدث ؟

ولما أومأ بوارو برأسه ، اردفت قائلة :

ــ ان هذا من صنع كارولين ، وهو ايضا السبب الذى يجعلني أومن بانها لا يمكن أن ترتكب جريمة قتل

ــ أن بعض الناس يرون انه ، في الواقع ، الدليــل الذى يثبت استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة

ــ ولــكن الحقيقة هي العكس ، أو ينبغي أن تــكون العكس . حقا أن ممثل الاتهام اتخذ من هذه الاصابة دليلا على تهور كارولين وعنف طباعها ، وان الناس يظنون أن الفتاة التى كادت تقتل اختها الطفلة بدافع الغيرة ، لا تتردد في قتل زوجها لهذا الدافع نفســه ولكن لو حاول هؤلاء أن يحسنوا التفكير لعرفوا أن العكس هــو الصحيح

وغمغم بوارو قائلا :

ــ هذا فضلا عن ان الانسان المتهور السريع الغضب ، لا يلجأ الى السم فى ارتكاب جريمته . ان القتل بالسم يحتاج الى تفكير وتدبير وثبات اعصاب . اما المتهور العنيف فانه يحاول القتل باى شىء يقع تحت يده

فلوحت انجيلا بيدها ، وقالت :

ــ ليس هذا ما اعنيه وان كان لا يعدو الواقع . وانما اعنى شيئا آخر . وساحاول ان اوضحه لك . لنفرض انك انسان عادى ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين ، ولنفرض انك فى سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والاعصاب ، واوشكت ان ترتكب جريمة قتل اخ صغير او اخت . اذن فكر فى الصدمة الرهيبة ، وفى الفزع ، وفى الندم الذى يملأ نفسك بعد ذلك . ان مثل هذه المشاعر ، الفزع والندم ، لا يمكن ان تزول من نفس فتاة مرهفة الاحساس مثل كارولين ، مهما مرت الايام ، وانا لا ازعم انى كنت متأكدة من مشاعرها هذه فى تلك الايام، ولكنى وانا أذكر معاملتها لى بعد اصابتى ، أدرك الآن حقيقة الفزع والندم والالم الذى كان يستبد بها . ان هذا الحادث ، حادث اصابتى على يديها ظل يؤرق نومها ، ويثقل عليها ، ويلون تصرفاتها بلون خاص . انه يفسر موقفها بعد ذلك منى ، وشدة حبها لى ، وفرط عطفها على ، ومبلغ تعلقها بى . كانت تريد ان تعوضنى عن اصابتى بكل شىء . ولو بحياتها اذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببى ، وكنت اشعر بالغيرة منه ، وادبر له « مقالب » صبيانية سخيفة ، واذكر انى اختلست يوما مادةتجذب رائحتها القطط ، ووضعتها فى كأس شرابه ، وكذلك وضعت مرة اخرى بعض الحشرات المنفرة فى فراشه . . ومع ذلك كانت كارولين تقف دائما بجانبى

وتوقفت مس وارين برهة قبل ان تستطرد قائلة :

ــ ولم يكن هذا من صالحى فى شىء بطبيعة الحال ، فقد كان هذا الاسراف فى تدليلى كفيلا بان يفسد اخلاقى ، ولكن هذا كله خارج عن موضوعنا ، فنحن نتحدث الآن عن كارولين ، وازيد ان اقول ان النتيجة التى ترتبت على تهورها فى اصابتى ، هى شعور دائم فى اعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل . كانت

كارولين دائما تراقب نفسها بنفسها . كانت في فزع مستمر من أن يتكرر هذا الحادث بصورة أو بأخرى . وقد لجأت في مراقبة نفسها الى وسائلها الخاصة ، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية في اثناء غضبها من شيء . فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق في الالفاظ القاسية ، هو عادة صمام الامن الذي يهدىء من ثورة الغضب المشتعل ، ويحول الرغبة في التحطيم الى مجرد كلمات لا تضر ولا تنفع . لقد ادركت هي ، بالتجربة ، جدوى هذه الوسيلة . ادركت ان العبارات العنيفة التي تطلقها اثناء الغضب . هي صمام الامن لطبيعتها المندفعةالمتهورة ، وهذا هو السبب الذي كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : « سامزقك اربا ، وأضع لحمك في زيت مغلي » او « اذا تماديت في اغضابي فسوف اقتلك حتما » وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجار، وكانت ترى في شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المندفعة ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين امياس مشادات عجيبة . . . واحيانا طريفة

ـــ نعم ، قيل لي انهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب

ـــ تماما ، ولكن الشيء الذي لم يفهمه الناس عنهما هو انهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات . نعم ، انني اذكر هذه الحقيقة كان كل منهما يوجه اثناء الغضب الى الآخر اعنف واقسى العبارات ، ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على الشعور الحقيقي الذي يكنه كل منهما لصاحبه . بعض الازواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ، ولكن امياس ، كفنان ، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة : كان يثيرها ضجة صاخبة حامية اذا فقد مثلا زرار قميصه . . . وكانت هي تكيل له الصاع صاعين ، ثم لا يلبثان أن يهدآ ويتصافيا كانما ازاح كل منهما عن كاهله عبئا ثقيلا او أفرغ عن نفسه شيئا محبوسا

ولوحت انجيلا بيدها في ضيق واردفت قائلة :

ـــ لو انهم لم يبعدوني عن جو المحاكمة ، لذكرت هذه الحقيقة امام القضاة

ثم هزت كتفيها وعادت تقول :

ـــ ولكني اعتقد انهم ما كانوا ليصدقونني . كما انه لم يكن في مقدوري يومذاك أن أوضح للمسئولين حقيقة الموقف بين الزوجين

كما افهمه الآن ... هل تفهم ما اعنى ؟

ـ تمام الفهم ، ولكن ماذا كان شعورك الخاص فى ذلك الحين يا مس وارين ؟

فتنهدت انجيلا وقالت :

ـ اعتقد أن شعورى يومذاك كان مزيجا من الحيرة والعجز ، كنت فى شبه حلم مزعج عجيب ، وانا أرى كارولين مقبوضا عليها بعد ثلاثة أيام من الحادث ، واذكر انى اعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع ، ولكن كارولين نصحتنى بالتزام السكينة والهدوء ، وطلبت من المسئولين الا يزجوا بى فى هذا الامر ، فذهبت الى أسرة صديقة فى الريف ، ولما تقرر عدم الحاجة الى سماع شهادتى ، تمت الترتيبات لترحيلى الى مدرسة داخلية فى الخارج : فى ميونيخ . وقد رفضت الذهاب فى أول الامر ، ولكن الجميع افهمونى ان هذه هى ارادة كارولين ، وان الواجب على ، فى مثل هذه الظروف ، أن اعاونها بالطاعة ، فذهبت . وبعد ثلاثة اشهر علمت بمنطوق الحكم الذى صدر عليها . ولما حاولت زيارتها ، رفضت فى اصرار ... ولست ادرى لماذا

ـ لانها ارادت ان تجنبك الآلام النفسية ، حين ترين اختك الحبيبة فى ملابس السجن

ـ ربما

ونهضت انجيلا وارين واقفة ، ثم استطردت تقول :

ـ بعد صدور الحكم باعدامها ، اى قبل تخفيفه الى السجن المؤبد ارسلت اختى الى خطابا خاصا لم اطلع عليه احدا ، ولكنى اعتقد انه لا مانع من ان اطلعك عليه الآن . فانك بعد أن تقرأه ، ستعرف اى نوع من النساء كانت كارولين ، ويمكنك ، اذا اردت ، أن تأخذه لتطلع عليه كارلا

وغادرت الغرفة ، ثم لم تلبث أن عادت ومعها خطاب وصورة شمسية . ثم قالت :

ـ هذه صورتها ، اتراها صورة قاتلة ؟

ونظر بوارو الى الصورة بامعان ، الى الوجه البيضاوى والملامح الرقيقة ، والعينين الهادئتين . انه وجه امرأة غير واثقة من نفسها . امرأة قوية العاطفة ، ذات جمال خفى ، ولكن تنقصها قوة الشخصية والحيوية اللتين تتمتع بهما ابنتها . تنقصها هذه

الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التى ورثتها كارلا عن ابيها

وقالت انجيلا :

ــ اما وقد رايت صورتها ، فاقرا خطابها

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرا :

« حبيبتى انجيلا الصغيرة

« سوف تسمعين اخبارا سيئة ستحزنك ، ولكننى اريد ان اؤكد لك ان كل شيء معى كما ينبغى ، اننى لم اكذب عليك يوما ، وانا الآن لست اكذب عليك اذا قلت لك اننى فى الواقع سعيدة ، واننى اشعر باحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة ، لم اشعر به من قبل . تاكدى يا حبيبتى اننى لست حزينة ، ولا بائسة ، ولانادمة على شيء ، فلا تحاولى أن تعودى بذاكرتك الى الماضى ، فتشعرى بالحزن والاسى من اجلى . انظرى الى الامام ، اهتمى بحياتك واطلبى النجاح ، وانا اعرف انك قادرة على النجاح ، وعلى الانتصار اما انا ، فسوف أعود الى امياس ، ولست اشك فى اننا سنبقى معا ، وما كان فى مقدورى ان أستمر فى هذه الحياة الدنيا بدونه . اننى ارجو منك شيئا واحدا ، وهو ان تكونى سعيدة . وقد قلت لك اننى الآن سعيدة ، فان على الانسان ان يدفع الثمن ، وان يشعر فى النهاية بالسكينة والسلام »

وبعد ان قرا بوارو الخطاب مرتين اعاده الى انجيلا قائلا :

ــ انه خطاب جميل رائع يا آنسة . خطاب مدهش عجيب

ــ لقد كانت كارولين حقا شخصية عجيبة مدهشة

ــ وهل ادركت ان هذا الخطاب يدل على براءتها ؟

ــ نعم . بلا شك

ــ ولكنها لم تذكر هذا بصراحة

ــ لان كارولين لم يخطر ببالها يوما انها مذنبة

ــ ربما . ربما . ولكن يمكن من جهة اخرى ان يدل هذا الخطاب على انها اذنبت ، ودفعت الثمن . واصبحت فى حالةنفسية هادئة

فقالت انجيلا :

ــ لالا . اننى واثقة تماما من براءتها

ــ الله يعلم اننى اتمنى ان تكون ثقتك فى محلها ، ولكن اذا لم

تكن اختك هي المذنبة ، فماذا حدث حقا ؟
فأومات براسها وقالت :
ــ هذه هي المشكلة ، واعتقد ان التعليل الوحيد هو ان امياس مات منتحرا
ــ ولكن ، هل تعتقدين ــ في قرارة نفسك ــ ان امياس من الاشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار ؟
ــ انه في رايي آخر من يفعل هذا ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فلعل الشخص الذي يبدو للجميع انه محصن ضد الانتحار ، هو اول من ينتحر في ساعة يأس . اننا في الواقع لانعرف عن حقائق النفس البشرية الا القشور
ــ اليس هناك اي احتمال آخر في رايك ؟
فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :
ــ انني افهم ماذا تعني ، ولكنني في الواقع لم افكر من قبل في اي احتمال آخر . انك تعني ان شخصا آخر قتل امياس ، قتله عن عمد وسبق اصرار وبعد تدبير محكم
ــ اليس هذا محتملا ؟
ــ ان الاحتمال في هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره
ــ اذن ، لنبحث هذا الاحتمال ، ونحاول ان نعرف اي الاشخاص الخمسة هو اقرب الجميع الى هذا الاحتمال
فصمتت انجيلا برهة اخرى ، ثم قالت :
ــ حسنا . دعني افكر . انني شخصيا لم اقتله . ولم تقتله الزا على وجه اليقين ، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته ، فمن يتبقى ؟ ميرديث بليك ...! لقد كانت دائما كالقطة الاليفة الهادئة ، حقا انه كان يحب كارولين في صمت ، وان هذا الحب يصلح ان يكون باعثا للقتل ، ولكن ، على هذا الفرض ، لماذا يقتل امياس وهو يعلم انه سيطلق كارولين وسيتزوج الزا ؟ هذا عدا ان ميرديث ليس بالرجل الذي يلجأ الى القتل لتحقيق اهدافه . فمن يتبقى بعد ذلك ؟
ــ فيليب بليك ، ومس ويليامز
فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :
ــ كانت مس ويليامز شديدة الحب لاختي ، ولم تكن راضية يوما عن تصرفات امياس ، ولكن هل يكفي هذا الحب للزوجة ، وهذا

النفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادىء واخلاق كريمة الى ارتكاب جريمة قتل ؟!

ــ انا شخصيا لا أعتقد هذا

ــ لم يبق اذن غير فيليب بليك . وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات فانا ارى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو اقرب هذه الاحتمالات كلها الى الصواب !

ــ لقد اثرت فضولى جــــدا يا مس وارين . هل يمكن أن أعرف لماذا ؟!

ــ انني لا اعرف شيئا محددا عنه ، ولــكنى أعتقد مما اذكره : انه شخص محدود الخيال ، ضيق الافق . ومثل هذا الشخص قد يلجأ الى اقسى الوسائل لتحقيق اغراضه .

ــ وهل كانت لفيليب أغراض خاصة ؟

ــ انني لا أدرى على وجه التحديد ، ولكن الانسان أحيانا يذكر أشياء تعيد الى ذاكرته فجاة أشــــياء مماثلة . فقد حدث وأنا أقيم فى فندق على ساحل الريفيرا أنى رأيت سيدة تخرج فى منتصف الليل من غرفة شاب اعزب لا يمت اليها بصلة قرابة . وقد فوجئت هى برؤيتى لها . وكانت على وجهها امارات عجيبة . امارات المراة التى ضبطت وهى تغادر خلسة غرفة عشيقها . وقد ذكرنى هـــذا الموقف بموقف آخر رأيته فى صغرى دون أن أفهم يومذاك معناه ، ولكنى فهمت هذا المعنى أخيرا

ــ أى موقف تعنين ؟

فقالت انجيلا :

ــ موقف اختى كارولين وهى تخرج فى سكون الليل من غرفة فيليب بليك أثناء اقامتــه فى قصر آلدربرى . اننى لم أفهم يومذاك معنى خروجها من غرفته فى مثل هذه الساعة ، ولكننى فهمته بعد أن رأيت نفس الامارات التى ارتسمت على وجه سيدة الفنــدق فى ساحل الريفيرا ، امارات وجه المراة الخارجة من غرفة عشيقها

ــ ولكن هذا عجيب يا مس وارين ، لقد فهمت من حديث فيليب انه كان يكره أختك اشد الكراهية

ــ نعم ، أعرف ، ولــكن هذا ما حدث !

الفصل الثامن

قصة العدو العاشق

كتب فيليب بليك ما يلي عن مأساة أمياس كريل وزوجته :

كانت صداقتي لامياس كريل ترجع الى عهد الطفولة .. فقد كان بيت أسرتي قريبا من بيت أسرته في الريف .. وكان امياس أكبر سنا مني بعامين .. وكثيرا ما لعبنا معا ، وقضينا الاجازات المدرسية معا رغم اننا لم نكن في مدرسة واحدة . وأستطيع ان أقول وأنا جد مطمئن الى هذا القول : « ان ما أعرفه عن أخلاق كريل وطباعه يجعلني أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا » لقد كان أشد الناس حبا للحياة ، واستمتاعا بها ، واقبالا عليها ..كان موفور الشباب والجمال والقوة ، وكان في طريق المجد والشهرة والثراء .. فلماذا ينتحر ؟! اينتحر لانه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته ؟! ان هذا الأمر يثير السخرية والضحك ..

أما زوجته كارولين ، فقد كنت اعرفها منذ صباها ..منذ ان كانت تاتي للاقامة مع أقاربها من أسرة كريل .وكانت يومذاك ، فتاة مندفعة، متهورة ، لا تتحكم في أعصابها ، ورغم جمالها وجاذبيتها ، فقد كانت من الفتيات اللاتي يصعب على الانسان أن يعيش سعيدا بالزواج من احداهن ..

وقد القت شباكها فورا حول امياس ، ولم يكن هو في أول الامر ميالا اليها ، ولكنه لم يلبث ، بعد ان القها ، وخرج معها بمفرده كثيرا ، أن تعلق بها ، فتمت خطبتهما .وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق لهذا الزواج .. لانه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة الصالحة لامياس ..

وكان هـذا هو السبب في وجـود شيء من النفور بين كارولين

واصدقاء أمياس المخلصين في السنوات الاولى من الزواج ٠٠ ولم يكن أمياس بالانسان الذى يتخلى عن أصدقائه ، بسهولة ، لأى سبب ٠٠ وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الاكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه ٠٠ وبدأت أتردد على قصر آلدربرى ، وقد جعلنى هو اشبينا ـ والدا روحيا ـ لابنته كارلا ٠٠ ولعل هذا هو الدليل الاكيد على مدى صداقتنا الرائعة ٠٠

ونعود الى المأساة ، فأقول : اننى دعيت للاقامة ضيفا في قصر صديقى كريل بالدربرى قبل وقوع الحادث بخمسة أيام « هكذا جاء في مفكرتى ، أى في اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر ٠ وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين ٠٠ فقد كانت مس الزا جرير تقيم أيضا في القصر ٠٠ وكان أمياس مشغولا برسم صورة زيتية لها ٠٠

وكانت تلك أول مرة أرى فيها مس جرير بعد أن سمعت عنها من أمياس ٠٠ وقد تبينت من الوهلة الاولى أن صديقى غارق الى أذنيه في حب الفتاة ، وأنها تكاد تلتهمه بعينيها من فرط الحب كلما رأته ٠٠ وكان الواضح أنها هي التى أوقعت أمياس في شراكها برغم فارق السن بينهما ، وبرغم ثرائها الواسع

اما كارولين فكانت غيورا بطبيعة الحال كالمعتاد ، وكانت غيرتها الشديدة هي السبب الذى يدفع أمياس الى القاء نفسه بين الحين والآخر في أحضان هذه المرأة أو تلك

والمهم أن الجو كان شديد التوتر ٠ وأذكر ان أمياس قال لى حين رآنى : « حمدا لله أن جئت يا صديقى ، ان الحياة بين أربع نساء تكفى لان ترسل بالانسان الى مستشفى المجاذيب »

وكان يقصد زوجته ، والزا جرير ، والمربية مس ويليامز، وانجيلا وارين ٠٠

والواقع ان الجو كان مضطربا حقا ٠٠ فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة ، وكانت في الوقت نفسه تعامل الزا بطريقة مهذبة ، ولكنها قاطعة كالسيف ٠٠ أما الزا فكانت أكثر صراحة وخشونة في معاملتها لكارولين ٠٠ كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل ٠٠ وكانت تعرف أنها دخيلة ، وأنها مخطئة ببقائها في القصر ، وأنها ستحطم حياة زوجية ، ولكنها

لم تكن مهتمة بشيء من هذا ·· لم يكن لديها من التربية العالية ، أو الحسب الرفيع ، أو المبادىء المثالية ما يوقفها عند حدها··كان همها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين ·· وكان أمياس يقضى معهـا معظم اوقاته ، أثناء رسم اللوحة ، وفى فترات الفراغ ·· أما علاقته بانجيلا وارين فكانت تضـــطرب بين الصـــفاء ، والعبث الصبيانى والمداعبات ، ثم المشاجرات وتبادل الالفاظ الحادة ·· ثم عودة الصفاء وهكذا ، حتى قرر فى النهاية الحاقها بمدرسة داخلية ·· وأما المس ويليامز ، فكان يقول لى عنها : « هذهالمرأة الحيزبون تكرهنى كما تكره الموت ·· انها تجلس دائما مزمومة الشـــفتين ، تنظر الى باحتقار شديد ، كأنى حشرة خبيثة ، هذه اللعينة عـدوة الرجال » ··· ثم أردف قائلا : « اللعنة على النساء جميعا ، اذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام ، فيجب أن يعيش بعيدا عنهن » ··· فقلت له : « ما كان ينبغى لك أن تتزوج ·· فأنت بطبيعتك آخر من يصـــلح للحياة الزوجية ·· »

فقال ان الحديث فى هذا الموضـــوع جاء بعد أوانه ، وان كارولين سوف تغتبط بالخلاص منه · وكانت تلك أول مرة أدرك فيهـــا أنه ينوى الانفصال عنها ، فقلت له :

«اذن فان علاقتك بهذه الفتاة الحسناء الزا جادةكل الجدهذهالمرة ؟»

فضحك قائلا : « انها حسناء ! أليس كذلك ؟ اننى أحيانا أتمنى لو أنى لم أرها ·· »

فقلت له جادا : « اسمع يا صديقى ، ينبغى عليك أن تتحكم فى عواطفك ، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء »

فنظر الى ضاحكا وقال :

« من السهل عليك أن تتحدث وتنصح ، ولكن ليس من السهل على أن أبتعد عن النساء ، وحتى لو ابتعدت أنا ، فانهن لن يتركننى وشأنى »

ثم هز كتفيه وقال :

« على كل حال سوف ينتهى كل شىء على خير ، وستكون الصورة من أروع أعمالى »

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها فى ظهر اليومالسابع

عشر من سبتمبر ·· اى قبل المأساة بيوم ·· كنا جميعا نتناول طعام الغداء ، وكانت الزا توجه الحديث الضاحك العابث الى امياس فقط ، وكاننا غير موجودين معها ، وكانت كارولين توجه اليناحديثها الناعم الملفوف الذى تبدو كلماته عادية ، ولكنها تقطع كالسكين وهى تتحدث بطريقة غير مباشرة عن « استهتار » بعض الفتيات،وعن « الاصل الحقير » الذى يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء ··

وانتقلنا بعد طعام الغداء الى قاعة الاستقبال ، وهناك أعربت عن اعجابى بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول ، فقالت كارولين بهدوء :

« انها صناعة مثال نرويجى شاب،وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته · وأعتقد أننا سنزوره حين نقضى جانبا من فصل الصيف الآتى فى النرويج »

وكان هدوء حديثها وما ينم عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس ، أكثر مما تطيق الزا التى ما كانت لتقبل أن تهزم فى أية محادثة ، ومن ثم قالت بعد فترة صمت :

« يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمل بكثير لو أخليناها من بعض الاشياء السمجة ألتى لا معنى لها ·· وأعتقد اننى حين أقيم هنا ، سأزيل منها كل السخافات والنفايات ، وسأضع على النوافذ أستارا فى لون النحاس ، فاذا انعكست عليها أشعة شمس الاصيل ، بدت فى لون الذهب ·· فما رأيك يا مستر فيليب بليك ؟ »

وقبل أن أجيب ، قالت كارولين بصوت ناعم ، ولكنه أحد من السيف :

« هل تنوين شراء هذا القصر يا الزا ؟ »

فقالت الزا : « ليس من الضرورى أن أشتريه لكى أقيم فيه »

فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للرقة هذه المرة : « اذن ماذا تعنين ؟ »

فضحكت الزا بوقاحة وقالت : « هل من الضرورى يا كارولين أن نتظاهر بالغباء ؟ انت تعرفين تماما ما أعنى »

« واذا كنت لا أعرف ؟ »

« لا تكونى كالنعامة التى تخفى رأسها فى الرمال ؟ انت تعرفين

جيدا أنني أتبادل الحب مع أمياس ، وليس هذا قصرك ، وانما قصره، وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه »

« يبدو أنك مجنونة يا الزا »

« لا يا عزيزتي ، انني عاقلة جدا،ويحسن بك أن تعترفي بالواقع، وتحرري أمياس من قيد الزواج بك »

« انني لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين .. »

وفي تلك اللحظة ، دخل أمياس الغرفة ، فقالت لها الزا :

« اذا كنت لا تصدقين ، فهذا هو امياس .. اسأليه .. »

فقالت كارولين لامياس :

« أمياس ، الزا تزعم أنك ستتزوج بها ، فهل هذا صحيح ؟ »

فاضطرب امياس المسكين ، وبدا كالسمكة في الشبكة ، ثم التفت الى الزا وقال بعنف :

« ما معنى هـــذا بحق الشيطان ؟ الا تعرفين كيف تمســـكين لسانك ؟! »

فقالت له كارولين : « اذن فالامر صحيح ؟ »

فقال وهو يزداد اضطرابا : « انني لا أريد أن أناقش هذا الموضوع الآن »

فقالت كارولين : « ولكنني اريد مناقشته فورا »

فتدخلت الزا في الحديث ، قائلة : « أعتقد يا أمياس أن من حق كارولين أن تعرف الحقيقة »

فقالت كارولين بهدوء : « احقا هذا يا أمياس »

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بحرج الموقف ، أردفت هي قائلة :

« أرجو منك أن تصارحني ، فمن حقي أن أعرف »

فقال في صوت الانسان الذي لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة:

« نعم ، ان ما تقوله الزا صحيح ، ولكني لا أريد أن أناقش الأمر ... الآن »

ثم غادر الغرفة ، وغادرتها أنا وراءه ، لاني أبيت أن أبقى في ذلك

الجو المضطرب مع المراتين ، وفي الشرفة،سمعته يسب ويلعن بعنف ثم قال لى :

« لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى افرغ ، على الاقل ، من رســـــم اللوحة ؟ انها اللوحة يا فيليب هى التى تهمنى الآن •• انها أروع انتاج فنى •• اننى لن أسمح لامرأتين غيورتين أن تحرماني من اتمامها »

ثم هدأ فجأة ، وقال : « ان النســـاء عموما حمقاوات ، لا يفهمن شيئا » فقلت له باسما :

« ولكنك أنت الذى جلبت على نفسك هذا كله يا صديقى »

« اننى اعرف •• ولكن يجب أن تعترف أن أى انســـــان كفيل بالوقوع فى غرامها اذا سمحت له هذه الشيطان الحسناء ، بل ان على كارولين أيضا أن تلتمس لى العذر »

« ولكن ، لا تنس واجبك يا امياس نحو ابنتك الطفلة »

فأمسك بذراعى وقال :

« انا أعرف أنك تريد لى الخير يا فيليب ، فارجـو أن تخفف من تأنيبك لى ، اننى أعرف كيف أسوى أمورى فى النهاية ، وثق أن كل شىء سينتهى على خير »

هكذا كان أمياس •• متفائلا دائما •• مبتهجا أبدا

ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا •• ولكنى أذكر ان كارولين اقبلت الى الشرفة وهى أتم ما تكون هدوءا وثباتا ، وقالت لاميـاس بصوت عادى :

« هلم اســـــتعد للذهاب الى ميرديث ، لا تنس أنه دعانا لشرب الشاى فى بيته بعد ظهر اليوم »

فنظر اليها أمياس دهشا ثم قال متلعثما :

« نعم •• نعم •• لقد نسيت .. ولكننا سنذهب طبعا .. »

ولما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج ، التقطت كارولين بعض الأزهار من آنية الزهور بالشرفة ، واســـتدارت الى ، وراحت تتحدث •• وتحدثت طويلا عن الجو •• وعن احتمال الذهاب معا الى صيد السمك اذا ظل الجو صافيا هكذا •• وقد عجبت لهـــدوئها المفاجىء ، وتوجـست شرا ، وكان ينبغى فى تلك اللحظة أن أكون على

حذر ، وان أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضى على أمياس ، وان هذا القرار هو سر هدوئها المفاجىء . فقد كنت دائما أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحيـــانا ، ولكننى ، بحماقتى ، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع ، وانها سوف تستسلم لنصيبها فى الحياة



واقبل الجميع بعد ذلك .. الزا فى تحد وانتصار . ولكن كارولين لم تحفل بها ، وانقذت انجيلا الموقف بمناقشتها مع المس ويليامز بشأن الجونلة ، قائلة : « انها لن تغيرها ، لان ميرديث « العجوز » لن يلحظ انها فى حاجة الى كى » ، ومضينا فى الطريق الى أخى ميرديث .. كارولين وانجيـلا فى المقدمة ، وأمياس وأنا ، ثم الزا بمفردها .. تسير شامخة الرأس .. باسمة !

ووصلنا الى بيت ميرديث ، ولست أذكر شيئا من الحـديث الذى دار أثناء تناولنا الشمـــاى ، ولكنى اذكر أن ميرديث ، وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين كارولين وأمياس ، انفرد بى بعد الفراغ من الشاى وقال لى :

« اسمع يا فيليب .. مستحيل ان يفعل أمياس شيئا من هذا »

« أؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة فى أقرب فرصة »

« ولكن .. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتـــاة تصغره بعشرين عاما ؟ »

« لا تنزعج من هذه الناحية .. ان الزا تعرف تماما ما تريد .. وسوف تظفر به »

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد . وكنت أعرف أن كارولين ، بعد طلاقها ، سوف تتزوج من ميرديث الذى ظل مخلصا لحبها كل هـذه السنوات .. والعجيب انى لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث فى غرفة المعمل .. فقد كنت دائما أضيق بحديث ميرديث عن هوايتـه فى استـخراج العقـاقير من النباتات الطبية ، ومن ثم وقفت معهم مستغرقا فى أفكارى الخاصة ، ولهذا لم أر كارولين وهى تختلس كمية سم الكونين ، ولكنى اذكر ان ميرديث ، بعد مغادرتنا غرفة المعمل الى غرفة المكتبة ، قرأ لنا فصلا ممتعا رائعا عن مأساة ســقراط ،

واللحظات الاخيرة من حياته بعد أن أعطى كأس سم الكونين ليشربه

وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة ، ولكنى اذكر أن انجيلا تشاجرت بعنف مع أمياس قبل أن تأوى الى النوم بشأن قراره لالحاقها بمدرسة داخلية . واذكر اننا ابتسمنا اسعد المشاجرة الصبيانية ، التى خففت من توتر الجو المنزلى ، ومما أثار ضحكنا ، أن انجيلا قالت لامياس ، قبل أن تفر باكية الى مخدعها ، أنها أولا : ستعرف كيف تنتقم منه ، وثانيا : تتمنى لو أنه مات ، وثالثا : ترجو أن يموت بالجذام ، ورابعا : تأمل أن تلتصق بأنفه قطعة سجق ولا تنتزع منه ابدا ، كما جاء فى القصة الخرافية !

ولما ذهبت ، ضحكنا جميعا لهذه « التشكيلة » المنتقاة من الدعوات

وأسرعت مس ويليامز وراء تلميذتها لتهدىء من ثورتها ، وغادرت كارولين الغرفة الى مخدعها ، ومضى أمياس والزا الى الحديقة. أما أنا ، فقد سرت بمفردى فى سكون الليل ...

وفى اليوم التالى ، هبطت الى قاعة الطعام فى ساعة متأخرة من الصباح ، ولم يكن بها أحد ، فتناولت الافطار بمفردى ، وتجولت قليلا ، ورأيت مس ويليامز تبحث هنا وهناك عن انجيلا التى هربت منها حتى لا تخيط جونلتها بنفسها .. ثم عدت الى صالة الطابق الاول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين أمياس وزوجته فى غرفة المكتبة ، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد :

« هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف اقتلك فى يوم ما »

وسمعت أمياس يرد عليها قائلا : « لا تكونى حمقاء يا كارولين »

فقالت : « بل اننى أعنى ما أقول »

ولم اشأ أن أسمع أكثر من هذا ، فغادرت الصالة الى الشرفة الكبيرة ، حيث رأيت الزا جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة .. وكانت النافذة مفتوحة ، ولهذا أعتقد أنها سمعت كل كلمة دارت بين الزوجين . ولكنها حين رأتنى ، نهضت مسرعة، وأقبلت نحوى باسمة ، وتناولت ذراعى ، وقالت ان الجو فى ذلك اليوم جميل .. فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم .. تتغزل فى جمال الجو بينما الخصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر .. وبقينا فى الشرفة بضع دقائق نتحدث ، ثم اذا كريل يقبل نحونا مضطرم الوجه ، ويمسك بكتف الزا فى شىء من العنف ويقول لها : « هلم ..

فقد آن وقت الرسم .. انني أريد أن افرغ من الصورة اليـــوم »
فقالت له : « حسـنا ، لسوف آتي بسـترتي الصوفية لاضعها على اكتافي ، فان الهواء في حديقة البحر بارد .. »

ولما دخلت القصر ، قال أمياس لي : « هؤلاء النساء .. »

ولم يزد .. وبقينا صامتين حتى عادت الزا ، ومضت معــه الى حـــديقة البحر ، ودخلت أنا الى القصر ، ورأيت كارولين واقفة في الصالة في شبه ذهول ، حتى خيل الى أنها لم ترني ، وانما سمعتها تقول بوضوح : « يا للقسوة .. يا للاستهتار »

ثم صعدت الى الطابق الثاني دون أن يبدو عليها أنهـا رأتني أو شعرت بي ، وكأنما هي مشغولة الذهن بتدبير شيء .. وأعتقد «وان كان ليس من حقي أن أقول هذا » أنها صـعدت لتحضر السم الذي قررت أن تقتل به زوجها .. وفي تلك اللحظة ، دق جرس التليفون، فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم ، وانما تنـاولت السماعة ، فاذا أخي ميرديث يخبرني بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله .. ولست بحاجة لان أعيد ما قلته بهذا الشأن ، وانما يكفي القول أني طلبت من ميرديث الحضور فورا ، وذهبت الى شاطيء الخليج لألتقي به ، ومررت في طريقي بسور حديقة البحر حيث سمعت أميـــاس والزا يتبادلان الحديث في بهجة وانطلاق ومرح.. وكان أمياس يقول ان الجو في ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر ، وقالت له الزا ان الهواء البارد الذي يهب عليهـــا من البحر جعــل عضلاتها تتيبس وهي جالسة أمامه بغير حراك ، وأردفت قائلة : « ألا يمكن يا حبيبي أن تدعني أستريح قليلا » وسمعت أمياس يصيح بها « لا لا .. أبقي كما أنت .. فانني أسير سيرا حسنا في اللوحة ، وأؤكد لك انها ستكون رائعة .. لا تقطعي حماسي للعمل .. »
وسمعتها تضحك قائلة « يا لك من وحش قاس »



ووصلت الى شاطيء الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق . وشرعت أتحدث معه بشأن السم المسروق ، ولما تأكدت تماما من أن كمية من سم الكونين سرقت حقا من معمله ، قلت له لابد أن تكون كارولين هي السارقة حتى تقضي على الزا وتحتفظ بزوجها ، ولكن ميرديث أبى أن يصدق ان تهبط كارولين الى حـد ارتكاب الجريمة ،

وان من المرجح أن تكون الزا هي السارقة ، وهكذا بقينا نتجادل ، ثم قررنا ان نتحرى الأمر في روية وهدوء ، وان ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين والزا لمحاولة استدراجهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل ٠٠ وكنا نتحدث في هذا الامر ونحن صاعدان في الممر الى القصر ، ولما اقتربنا من سورحديقة البحر ، سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة ، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها : « انك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي » ثم اذا باب الحديقة يفتح ، وتخرج كارولين مضطرمة الوجه ، ثم تبتسم لنا وتقول انها كانت تتناقش مع أمياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة ، وأنه مصر على رأيه ، وفي تلك اللحظة ، أقبلت الزا من ناحية القصر حاملة في ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الاحمر ، فلما رآها أمياس ، قال لها : « هلم عودي الى مكانك لاواصل الرسم ، فاني لا أريد أن أضيع الوقت »

وعاد هو الى حامل الرسم ، وقد لاحظت أنه يسير مترنحا بعض الشيء ، وخطر لي أنه أسرف في الشرب ، واذا كان قد أسرف ، فله العذر ، فليس هناك من يستطيع أن يحتمل كل هذه المشكلات دون أن يستعين ببعض كؤوس من الخمر !

ثم سمعته يقول متأففا :

« لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلوجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق »

فقالت له كارولين « لسوف آتي اليك بزجاجة من ثلاجة القصر »

فغمغم أمياس قائلا : « شكرا ٠٠ »

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا الى القصر ،وهناك، دخلت هي ، وجلست أنا مع ميرديث في الشرفة ، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا انجيلا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، وفيما نحن نشرب ، رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلوجة قائلة أنها ستحملها الى زوجها ، فعرض عليها ميرديث أن يمضي بها الى أمياس بدلا منها ، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته ٠ وقد خطر لي ، لحماقتي ، أن اصرارها هذا يرجع الى شدة غيرتها ، والى رغبتها في أن تفاجيء زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بالزا في

حديقة البحر ، ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة في مناقشة موضوع الحاق انجيلا بالمدرسة ..

وسارت منحدرة في الممر المتعرج ، وراقبها ميرديث برهة ، أما انجيلا فقد كانت تلح في أن اصحبها للسباحة في البحر ، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضـــوع اختفاء سم الكونين « لسوف نواصل الحديث في الموضوع بعد الغداء »

وقضيت فترة طيبة في السباحة مع انجيلا وانا أقرر في أعماق نفسي أن أتحدث ، بعد الغداء ، مع كارولين في موضوع السم المختفي، ذلك أني كنت انتهيت حينذاك الى أنها هي التي سرقت كمية السم ، وانه ليس هنـاك ما يدعو الزا الى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة بأنها هي المنتصرة في المعركة ، وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها ..

وسمعنا رنين جرس الغداء ، فانطلقت مع انجيـــلا مسرعين الى القصر ، وهناك وجدنا الجميع ، فيما عدا أمياس الذي قال أنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة ، جالسين الى مائدة الطعام ، وفرغنـــا من تناول الغداء ، وجلسنا نشرب القهوة في الشرفة ، واني أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين في تلك الفترة ، وانه من العجيب أن اذكر أنها كانت في حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات رجلا .. زوجا .. وأبا .. واني ، لهذا السبب ، لأزداد شعورا بالحقد عليها والكراهية لها .. فلو أنها قتلت أمياس بمسدس في ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر ، أما أن تدبر مقتله بالسم، ثم تتناول الغداء بهدوء ، بل وبشهية ، ثم تجلس معنـــا في الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد ، او يطرف لها جفن ، أو يشحب منهـا وجه ، فهذا ما لا يقدر عليه الا شيطان في صورة امرأة ..

ونهضت أخيرا ، وقالت بهدوئها القاتل : « أنها ستحمل القهوة الى امياس » ستحملها اليه وهي موقنة تماما أنه ميت .. !! وذهبت معها مس ويليامز لتبحث عن صـــديرية صوف نسيتها انجيلا على الشاطيء ، وبعد اختفائهما في الممر ، نهض ميرديث ، وسار وراءهما، وفيما أنا اهم باللحاق به بعد أن اعتذر لالزا ، اذا هو يعـود مهرعا مضطربا يقول :

« يجب استدعاء طبيب حالا .. ان امياس .. في حالة خطرة »

فوثبت واقفا وهتفت « ماذا به ·· مات ؟! »

فقال ميرديث « نعم ·· »

وعندئذ دوت صيحة مفزعة رهيبة اطلقتها الزا ثم اذا هي تولول قائلة :

« مات ·· مات ·· مات ..!! »

وانطلقت تعدو بسرعة عجيبة ، كالغزال الجريح ، أوكرمز للغضب والانتقام ·· وقال ميرديث لاهثا :

« أسرع وراءها ·· أسرع ·· فلا يدري احد ماذا يمكن أن تفعل هذه الفتاة ·· ولسوف أستدعي طبيبا بالتليفون حالا »

وأسرعت وراءها وأعتقد أنني لو لم ألحق بهـــا ، لقتلت كارولين بيديها ·· فأنا لم أر في حياتي امرأة على مثل هـذا الحزن والغضب والثورة والرغبة في الانتقام ، كانت امرأة سوقية عنيفة حرمت من حبيبها بالموت ·· ولو أتيحت لها الفرصـــة لمزقت وجـه كارولين بأظافرها ، ولأنشبت أسنانها في عنقها ، ولألقت بها من ســـور الحديقة الى البحر ·· واستطاعت مس ويليامز بحزمها أن تهدىء من ثورتها ، وهدأت الزا أخيرا ، ووقفت ترتعد وتلهث وتشهق ··

أما كارولين ، فقد وقفت ثابتـة ، هادئة ، ويمكن القول ، ذاهلة أيضا ·· ولكنني أعتقد أنها لم تكن ذاهلة حقا ، وان كانت عيناها تنمان عن هذا الذهول ·· والخوف ··

وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها بصوت خافت :

« أيتها القاتلة الملعونة ·· كيف تقتلين أحب اصدقائي »

فتراجعت في فزع وقالت :

« لا ·· لا ·· لا ·· انه قتل نفسه »

فنظرت في عينيها طويلا وقلت :

« قولي هذا لرجال البوليس ·· ان أحدا لن يصدقك »

وقد قالت هذا ·· ولم يصدقها أحد ··



وذهبت اليها ، الى كارولين ، وقلت لها : « ايتهــا
القاتلة الملونة ... كيف تقتلين احب اصدقائي ؟... »

الفصل التاسع

اعتراف الحبيب الهاوي

وكتب ميرديث بليك يقول عن المأساة :

انني شخصيا لازلت أعتقد أن أمياس كريل مات منتحرا .. ولا تسألني لماذا او كيف ، فاني لن أومن فى يوم من الايام أن كارولين ارتكبت جريمة قتل . وكذلك ليس هناك أى دافع يبرر قتل أمياس على يد واحد من الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين اثناء وقوع المأساة . وايا كان الامر ، فاني سأسرد الحقائق كما اذكرها ..

اذكر أولا هذه المحادثة التى دارت بينى وبين كارولين قبل المأساة ببضعة أسابيع ، اى عند ماقامت الزا جرير بزيارة أمياس فى قصره اول مرة . وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبى لها واستعدادى للتضحية بشأنها ، وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنها وتخفيف احزانها . وقد دهشت حين سألتنى فجأة هل أعتقد أن أمياس يحب تلك الفتاة حقا ، فقلت :

« أعتقد انه يهتم فقط برسم لوحة فنية لها »

« لا .. لا .. بل انه يهيم بها غراما »

« انها جميلة وجذابة .. هذا صحيح .. ولكننى أعرف ياكارولين أن أمياس ، برغم علاقاته المتعددة بالنساء ، لا يحب احدا غيرك .. انت فقط ياكارولين التى تملئين قلبه وحياته »

« هذا ماكنت اعتقده دائما .. »

« وحتى الآن .. »

فهزت رأسها وقالت :

« ولكننى خائفة ياميرديث هذه المرة . نعم خائفة ... ان الفتاة

تحب امياس حبا حقيقيا .. هذا ما اشعر به ، وانها لشابة متفانية في الحب . ويبدو انه الحب الاول الحقيقي في حياتها . ولهذا اشعر ان الامر ، هذه المرة ، جد وخطير .. »

ثم أردفت قائلة : « انني في الرابعة والثلاثين من عمري ياميرديث، وقد تزوجت بامياس منذ عشرة أعوام .. ولكنني لا اكاد اذكر — من ناحية الجمال والجاذبية — مع هذه الفتاة التي تتمتع بكل شيء .. بالشباب والجمال والمال والعاطفة الثائرة .. »

فقلت لها : « ولكن امياس ، مع هذا ، لا يطيق الحيـــاة بدونك يا كارولين ؟ »

فقالت وهي ترسل ضحكة خفيفة مريرة :

« هل يمكن لاية امراة أن تثق دائما في اى رجل ؟ ! انني ياميرديث امراة بدائية ، واتمنى لو استطعت ان ابقر بطن هذه الفتاة .. »

فقلت لها : « ان الامر كله لن يعدو أن يكون نزوة عابرة بين امياس والزا .. وان كلا منهما لن يلبث أن يفتح عينيه على حقائق الحياة ، وأن يبتعد في النهاية عن الآخر .. »

وحولت هي مجرى الحديث .. ولم تلبث الزا بعد تلك الزيارة الاولى ان عادت الى العاصمة ، ولحق امياس بها حيث قضى معهـا في العاصمة بضعة اسـابيع ، ثم نسيت انا تقريبا كل شيء عن الموضوع الى ان سمعت ان الزا عادت مرة اخرى للاقامة مع امياس في قصر الدربري ، وذلك لكي يفرغ من رسم اللوحة التي بداها اثنــــاء زيارتها الاولى . واذكر انى حدثتك بما دار بيني وبين امياس ، ثم الزا من حديث في هذا الموضوع ، ولكنني لم استطع ان اتبــادل الحديث على انفراد مع كارولين الا فترة وجيزة ، وذلك حين قالت لي ان كل شيء بالنسبة لها قد انتهى .. وانها هي قد انتهت ايضـا .. ولهذا اعتقد تماما انها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتي الحمقاء عنه ، لا لتقتل به احدا ، وانما لتنتحر به ، ولكن يبدو لي أن امياس اكتشف هذه الحقيقة .. اكتشف ان زوجته استولت على كمية من مخدر سام لتنتحر ، فاستيقظ ضميره ، وقرر أن ينتحر هو بدلا منها .. لماذا ؟ لانه رأى نفسه بين أمرين احلاهما مر .. فهو لا يستطيع الحياة بدون الزا بعد أن تمكن حبها من قلبه ، ثم هو لن يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها الى الانتحار بعد ان رأى

بنفسه عزمها عليه ، فماذا يفعل ؟ ! لم يكن امامه الا ان يريح نفسه بالموت... ولكنه لم ينتحر الا بعد ان فرغ أو كاد من رسم اللوحةالتى كان يهتم بها فى ساعاته الاخيرة اشد الاهتمام

وانا اعترف طبعا ان فى هذه النظرية ثغرات كثيرة .. فمثلا لماذا لم نجدعلى زجاجة الكونينفى غرفة نومكارولين غيربصماتاصابعها ؟ هل يمكن أن تكون بصمات امياس قد ازيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ، ثم ارتسمت بصمات اصابع كارولين عليها حين اسرعت بعد وفاة امياس لترى ماذا حل بالزجاجة ؟ .. ربما ..

ولعل موقف كارولين اثناء المحـــاكمة يؤيد نظريتى هذه بعض التأييد .. فقد ادركت انها هى التى دفعت بزوجها الى الانتحار ، وانها هى التى اعدت له المادة السامة التى انتحر بها ، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن ، وأن تلحق به ..

اما عن مشاعرى وتصرفاتى الخاصة ، فاقول انى نمت مضطربا بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاى فى بيتى .. نمت مضطربا بعد ان حاولت ان افكر فى وسيلة او فى أخرى انقذ بها الموقف بين كريل وزوجته . واستيقظت فى الصباح الباكر فى نحو السادسة ، وشربت الشاى ؛ ولكنى وجدت رأسى ثقيلة بسبب اضطراب نومى، فنمت مرة أخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وعندئذ شعرت كأن شخصا يتحرك فى الغرفة التى تقع أسفل غرفتى مباشرة .. وهى غرفة المعمل .. واستطيع القول هنا ان هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة الى المعمل ، لانى حين ارتديت ملابسى وهبطت الى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحى الخاص ، وجدت انى اهملت فى اليوم السابق اغلاق النافذة كما ينبغى .. ومصراع النافذة كما تعلم من النوع الذى يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق .. وقد وجدت ثمة فتحة فى النافذة تكفى لادخال قطة .. وفيما انا اطوف بنظراتى فى جوانب المعـمـل ، لاحظت ان زجاجة الكوتين بارزة قليلا عن صف الزجاجات فوق الرف ، فلمـا رفعت يدى لاعيدها الى مكانها ، رأيت ، لفزعى ، أن الكميـــة التى بها اقل من النصف ، رغم انها كانت فى اليوم السابق ممتلئة تماما ، وشعرت أولا بالاضطراب ، ثم بالخوف ، ثم بالفزع .. ورحت استجوب الخدم فى عناية ، ولكنى ايقنت أن احدا منهم لم يدخل غرفة المعمل ..

واخيرا اتصلت تليفونيا باخي فيليب أساله النصيحة ، فطلب منى أن أسرع اليه لاتبادل معه الحديث فى هذا الامر الخطر .. وفيما انا فى طريقى الى الخليج لاستقل الزورق ، رأيت مس ويليامز تبحث عن تلميذتها انجيلا الهاربة منها .. والتقيت بفيليب فى الجانب الاخر من الخليج ، وسرت معه صاعدين فى الممر المتمرج الى القصر، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر ، سمعت اميـاس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع ، وكأنهما يتشاجران ، وقد فهمت من العبارات الاخيرة أن كارولين تتهمه بالقسوة على الفتاة ، وانه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى ، وانها لابد ان ترحل ، وفجأة فتـح باب الحديقة واقبلت كارولين مضطربة ، ولكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت انها كانت تتناقش مع أمياس بخصوص انجيلا والحاقها بالمدرسة . وفى تلك اللحظة اقبلت الزا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الاحمر ، فهتف بها امياس لكى تسرع وتجلس فى مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة ،وواصلنا نحن السير فى طريقنا الى القصر



وجلست مع فيليب فى الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث فى موضوع السم المختفى ، ثم اقبلت انجيلا تحمل الينا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، فسألتها عن السبب فى هروبها من مس ويليامز ، فقالت انها كانت تسبح ، وانها لاتجد سببا يدفعها الى خياطة جونلتها القديمة مادامت ستظفر بملابس جديدة عند التحاقها بالمدرسة . ورأينا كارولين وهى تحمل زجاجة بيرة مثلجة الى زوجها ، ثم ذهب فيليب مع انجيلا السباحة ، ولما بقيت بمفردى ، نهضت وسرت الى الهضبة الصغيرة التى تشرف على حديقة البحر ، وجلست على مقعد خشبى مستطيل اتسلى بالنظر — من بعيد — الى أمياس وهو يرسم الخطوط الاخيرة لالزا التى كانت جالسة على سور الحديقة فى الوضع المناسب .. وكانت تضع على كتفيها المعطف الصوفى الاحمر لتحتمى به من هواء البحر البارد ، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ؛ وصوتها ينساب رنانا بالبهجة وهى تتبادل الحديث مع أميـاس عن المستقبل الباسم الذى ينتظرهما معا ..

وارجو الا يخطر ببال احد انى كنت استرق السمع .. لا .. فقد كانت الزا تراني من مكانها ، وقد لوحت لى بذراعها قائلة ان امياس شديد القسوة عليها فى هذا الصباح ، وانه يرفض ان يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة .. ودمدم امياس قائلا انه أيضا يشعر بتيبس فى عضلاته ، وانه يخشى أن يكون قد اصيب بروماتزم عضلى ، فداعبته الزا بقولها : « ياالك من رجل عجوز مريض » ورد عليها بقوله « انك ستتزوجين من رجل مقيد بالروماتزم »

وقد امضنى وصدمنى حديثهما هذا المرح عن مستقبلهما ، دون ان يهتما فى قليل او كثير بالام كارولين واحزانها .. ولكنى لم اتجه باللائمة على الزا .. فقد كانت طفلة .. فى نحو العشرين من عمرها . خافقة القلب بالحب ، سعيدة بالحياة ، مفتونة بسحر جمالها ، غير مدركة بحقيقة الموقف او بقسوة الالام التى تسببها للغير .. انها فى الواقع لم تكن ترى فى الوجود احدا غيرها وغير امياس ..

وكان الحديث بينها وبين امياس متباعد الفترات .. فبعد كل خمس أو عشر دقائق تتحدث بشىء ، فيرد عليها ، فمثلا قالت له : « اعتقد انك محق فى رايك عن اسبانيا .. نعم .. انها خير مكان شاعرى لقضاء شهر العسل .. ولكن لاتنس أن تأخذنى وتفرجنى على حفلة من حفلات مصارعة الثيران .. لاشك ان مثل هذه الحفلات مثيرة للمشاعر ، وانا ارجو الا يموت الثور فى الحفلة التى ساحضرها ، وانما الميتادور .. وانى لافهم الآن كيف كانت مشاعر نساء روما القديمة وهن يرين المصارعين يموتون .. فأن الرجال كثيرون ، ولكن الحيوانات المدربة قليلة .. »

واعتقد انها هى نفسها كانت كحيوان جميل .. بدائى المشاعر ، قليل التجارب ، عديم التفكير .. نعم .. كنت أعتقد انها لم تكن تعرف كيف تفكر .. وانما تعرف كيف تشعر فقط ..

ودق جرس الغداء ، فهبطت من الهضبة والتقيت بالزا عند باب الحديقة ، وكان امياس متهالكا على المقعد المستطيل بجانب لوحة الرسم ، فظننته : كالمعتاد ، يستريح او يستلهم الوحى . اذ انى كثيرا ما رايته على مثل هذه الحال .. وقد قالت لى الزا حين نظرت اليها مستفسرة : «انه لن يذهب معنا لتناول الغداء» فقلت فى نفسى

«خير افعل» وكان هو ينظر الى نظرات غريبة عجيبة كانما يريد أن يقول شيئا ولكنه لا يستطيع ، ولم آكن أدرى ان المسكين فى تلك اللحظة كان يحتضر ، وأن الشلل كان يسرى فى كل عضلات جسمه حتى لسانه .. وهكذا تركته مع الزا ونحن نظن أنه بخير ، وانه لن يلبث ان ينهض ويستأنف العمل فى اللوحة .. وكانت الزا المسكينة تثرثر معى وتضحك وهى لا تدرى انها لن ترى حبيبها مرة اخرى الا جثة هامدة

وكانت كارولين طبيعية هادئة اثناء تناول الغداء وبعده .. وهذا ما يجعلنى شديد الثقة ببراءتها .. فلا اظن انه يوجد فى الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهى تعلم ان زوجها يحتضر بالسم الذى دسته له .. لا .. هذا فى رايى مستحيل

ولما اكتشفت بنفسها الوفاة ، بدت لى كانها ذاهلة من فرط الصدمة .. اما الزا ، فكانت كالوحش الثائر الذى اختطفت منه طعامه وهو اشد مايكون جوعا .. وقد كادت ان تفتك بكارولين بعد ان اتهمتها بقتل امياس لولا ان تدخلَ فيليب فى الامر ، كما قال لى ، وتعاون مع مس ويليامز على تهدئة ثائرتها

واذكر ان كل ماحدث بعد ذلك كان كالكابوس المزعج الرهيب .. فقد جاء الطبيب ، ثم رجال البوليس ، ثم مندوبو الصحف والمصورون واصبح المكان كخلية نحل هاجمتها اسراب من « الدبابير »

نعم .. كان كل شيء بعد ذلك مثل كابوس رهيب ..

واعتقد ان هذا الكابوس لا يزال مخيما على حياتنا رغم مرور كل هذه الاعوام ..

انني اسأل الله ان يحقق لكارلا الصغيرة املها فى الوصول الى الحقيقة الكاملة ، فانها سوف تنسى كل شيء حين يطمئن قلبها الى حقيقة ماحدث

اما انا ، فلا زلت اعتقد ان امياس مات منتحرا ، ولا تسألني لماذا ... فان كثيرا من الناس يرتكبون اشياء لم تكن متوقعة منهم .

الفصل العاشر

قصة غرام

... وهذه هي رواية الليدي دنتشام :

لسوف اذكر هنا القصة كاملة من بدايتها ... منذ ان التقيت بأمياس كريل لاول مرة الى نهايتها المفجعة

رأيته اول مرة فى حفلة فنية بأحد المعارض .. كان واقفا بجانب النافذة .. ورأيته وانا ادخل من الباب .. وسألت احدهم من يكون هذا ، فقال : « انه الرسام كريل » فقلت فورا : « انني اريد ان أتعرف به .. »

وتعرفت به .. وتحدثت معه نحو عشر دقائق .. ولست ادرى على وجه التحديد كيف كانت مشاعري فى تلك اللحظات .. ولكن يكفى ان اقول:«ان كل شيء بدا فى عينى صغيرا ضئيلا بجانب امياس » لقد ملأ هو افق حياتى ، فلم اعد ارى احدا غيره .. وبعد هذه المقابلة مباشرة ، ذهبت للتفرج على جميع لوحاته المعروضة فى بوند ستريت ، وفى متاحف لندن ومدينة ليدز .. وتقابلت معه مرة اخرى ، وقلت له : « لقد شاهدت جميع لوحاتك .. وأعتقد انها رائعة »

فنظر الى فى ابتسام خفيف وقال :

« ومن قال انك تصلحين للحكم على اللوحات الفنية .. اكبر ظنى انك لا تفهمين شيئا من فن الرسم »

« ربما .. ولكن هذا لا يمنع من اعجابى الشديد بها »

« لا تكونى حمقاء متهورة فى احكامك »

« انني لست كما تظن ، أريد أن ترسمني بريشتك »

« لو كنت تفهمين شيئا فى الفن ، لادركت انني لا ارسم لوحات

الفتيات الجميلات ، ان أساس رسومي كلها هي الفكرة لا الاشخاص »

« ارسمني على اني فكرة ، وما اظن اني فتاة جميلة »

فنظر الي برهة وكأنما يراني لاول مرة ثم قال :

« نعم ، اعتقد انك على صواب »

« هل سترسمني اذن ؟ »

« يبدو لي انك طفلة عجيبة ، اليس كذلك ؟ »

« انني طفلة موفورة الثراء كما تعلم .. واستطيع ان ادفع لك ما تريد من اجر »

« لماذا تتلهفين الى هذا الحد لكي أرسمك ؟ »

« لاني اريد هذا »

« أهذا سبب معقول ؟ »

« لقد تعودت دائما أن اظفر بما أريد »

« اوه ... يا لك من طفلة حمقاء ؟ »

« هل سترسمني اذن ؟ »

فامسك بكتفي في شيء من العنف ، وراح يمعن النظر الى وجهي وشعري وصدري ، ثم قال :

« نعم ، ساجعل منك لوحة فنية ، مهرجانا للالوان »

« اذن سترسمني ؟ »

« نعم .. سأرسم اروع واجمل وابهى الالوان الضاحكة ، النابضة ، المتوثبة ، التي تصور الجمال ، والشباب ، وافراح الحياة »

« اتفقنا »

« ولكني احذرك يا الزا جرير ... انني عادة اقع في حب التي ارسمها »

« اتمنى أن تفعل »

فلهثت انفاسه ، ونظر الي في دهشة ، وقد بدا الحب فصلا يطل من عينيه في تلك اللحظة .. هكذا ، ببساطة ، جمع الحب بيننا باقوى رباط

والتقينا مرة اخرى بعد يوم او اثنين ، وطلب مني ان اذهب معه الى قصره في آلدربري لانه يريد أن يرسمني في وضع خاص ، وفي اطار معين تجتمع معه كل ما في الطبيعة من الوان وبهاء ، ثم قال :

« انني رجل متزوج كما تعرفين ، واحب زوجتي أشد الحب »
« اذن لا شك انها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا »
« جدا .. والواقع انني اقدس التراب الذى تسير عليه ، ويجب ان تفهمي هذا تماما »
« حسنا .. فهمت »
وبدأ اللوحة بعد اسبوع ، وقد استقبلتني كارولين فى أول الامر بحماس وترحاب ومودة ، ولكن فى شيء من التحفظ الخفي .. واعتقد انه لم يكن هناك ما يدعو الى خوفها مني ، فان امياس لم يحاول أن يقول لي شيئا لا يستطيع ان يقوله امام زوجته .. وكنت أنا اعاملها بأدب ورقة وتهذيب .. ولكننا ، فى أعماق نفوسنا ، كنا نشعر بالقدر المتربص لنا
وكان علي ، بعدعشرة أيام قضيتها فى تلك الزيارة الاولى أن اعود الى لندن ، فقلت له :
« انك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد ؟ »
« انني فى الواقع لم ابدأها بعد »
« لماذا ؟ »
« انت تعرفين السبب يا الزا ، ولهذا يجب أن ترحلي حتى تهدأ مشاعري ، فانني لا استطيع أن افكر فى الرسم ، بل لا استطيع ان افكر فى شيء آخر ... غيرك »
وكنا فى حديقة البحر عندئذ .. وكان الجو دافئا صافيا زاخرا باغاريد الطيور ، مفعمـا بأريج الزهور . وكان ينبغي أن نشعر بالسعادة ، ولكننا لم نكن نشعر الا .. بالقلق .. وكأنما كانت أرواحنا تدرك المصير المنتظر !
وكنت اعرف انه لا فائدة من عودتي الى لندن ، ولكني ، مع هذا ، قلت :
« حسنا .. سأبتعد عنك اذا كان هذا يرضيك »
« انك فتاة رائعة ... »
وعدت الى لندن ، ولم أكتب اليه ..
وصبر هو عشرة أيام .. ولشد ما دهشت وصدمت حين رأيت حالته اليائسة ، وتحول جسمه أثناء هذه الايام العشرة من الفراق وقد قال لي حين رآني :

« لقد حفرتك يا الزا .. فلا تلوميني .. »

« انني لا الومك .. ولكنني سأفتح ذراعي لك .. فقد كنت في انتظارك .. وكنت اعرف انك آت الي »

فتأوه وقال : « هناك اشياء اقوى من كل ارادة انسانية .. لم يكن في مقدوري ان آكل أو انام او استريح لفرط شوقي اليك ولهفتي عليك »

فقلت له انني اعرف هذا ، لان هذا هو نفس شعوري منذ رأيته اول مرة ، فقال :

« كانك لم تحاولي ان تقاومي هذا الشعور كما قاومته »

« ولماذا اقاومه وهو اجمل شعور احسست به في حياتي ؟ »

« لو لم تكوني صغيرة الى هذا الحد »

« ولكن قلبي ليس صغيرا .. »

وقضينا معا بضعة اسابيع .. واعتقد انني عاجزة تماما عن وصف السعادة التي كانت تملأ قلوبنا في تلك الاسابيع .. انها لم تكن سعادة ، وانما كانت شيئا اعمق واضخم ..

ولكن امياس كان يشعر بالقلق من اجل الصورة .. وفي نهاية تلك الاسابيع قال :

« انني لم استطع ان استمر في رسمك .. بسبب اضطراب مشاعري نحوك .. اما الآن .. اما وقد عشت معك كل هذه الاسابيع وتشربت روحي من رحيق جمالك وشبابك ، فاني اشعر تماما بأني سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا .. انني الآن اكاد اموت شوقا الى استئناف الرسم .. هناك .. ستجلسين على سور الحديقة .. وحولك زرقة السماء ، وخضرة الاشجار ، وكأنك رمز للنصر .. »

ثم اردف يقول :

« المهم الآن أن افرغ من الصورة في جو هادىء ، وبعد ذلك سأخبر كارولين بكل شيء ، ثم نتفق على حل للمشكلة »

« اتعتقد أن كارولين ستمانع في الطلاق منك »

« لا اظن . ولكن ، من يدري ؟ ! »

« اذا كانت تحبك . ، فيجب أن تعمل على اسعادك ولو على حساب آلامها .. »

« هذه كلمات تقال فى الكتب والروايات .. ولكن الحقيقة غير ذلك .. ان للطبيعة الانسانية مخالب وانيابا .. فلا تغفلى عن هذا .. »

« ولكننا نعيش فى عصر متحضر .. والنـــاس المتحضرون لا يستخدمون مخالبهم وانيابهم لتحقيق اغراضهم »

فضحك وقال : « ولكنها ستتعلم .. فهل تعلمين يا الزا معنى عذاب الزوجة المهجورة ؟ »

فقلت : « اذن .. فلا تخبرها .. لا تصارحها بما بيننا .. ولا داعى لان تستمر علاقتنا الى ابعد من هذا »

« لا لا .. هذا مستحيل ايضا .. انك لى يا الزا .. لى أمام الدنيا كلها .. لن يفرق بيننا احد »

« لنفرض انها رفضت الطلاق ؟ »

« اننى لست خائفا من هذا »

« اذن مم تخاف ..؟ »

« اننى لا ادرى على وجه التحديد .. »

ارأيت ؟ ! لقد كان خائفا منها .. كان يعرف حقيقة نفســها البدائية .. كان يدرك انها امراة ذات مخالب وانياب .. آه .. لو اننى ادركت يومذاك ما كان يجول بفكره ..

وعدنا مرة اخرى الى آلدربرى .. ولكن الجو فى هــذه المرة كان مكهربا .. مشحونا بالشكوك والارتياب والعـداء الخفى ، والغيرة العمياء .. ولم أرض عن هذا الجو بطبيعة الحال .. فقد عشت عمرى كله اكره النفاق ، والمراوغة ، والتخفى .. وقد الححت على امياس كثيرا لكى نصارحها ، ولكنه كان يصر على الرفض

ولكن الطريف فى الموضوع كله انه لم يكن هو مهتما بهذا الامر .. وانما كان اهتمامه مركزا على اللوحة التى يعمل فيها .. فرغم انه كان ميالا لكارولين وكارها لايلامها ، فقـد تركهـا تعانى عـــذاب الشكوك وراح يعمل فى اللوحة كالمجنون .. وانا لم ار من قبل فنانا وهو يعمل ، ولكنى حين رايته اثناء العمل ، ادركت فورا انه فنان اصيل .. فنان ملهم .. وهكذا كان مستغرقا فى فنه ، محلقا به بعيدا عن مشاكل الحياة الدائرة حوله ، المطبقة عليه .. ولكن الموقف بالنسبة لى كان يختلف .. كان موقفى حرجا اشد ما يكون الحرج..

كانت كارولين تكرهني ، وتخزني بعبارات ملتوية ، تبدو بريئة في ظاهرها قاطعة كالسكين في حقيقتها .. ولها العذر .. وهكذا رايت ان خير وسيلة لتخفيف حرج موقفي ، هي أن اواجه الامر في صراحة وصدق .. ولما اخبرت امياس برايي هذا ، قال :

« اللعنة على الصراحة والصدق .. انني اريد اولا ان اتم رسم اللوحة في هدوء .... »

ورغم فهمي لموقفه ، فقد ابى هو ان يفهم موقفي ..

ولم استطع ان احتمل الامر طويلا .. فقـــد حدث ان تحدثت كارولين عن رحلة ستقوم بها مع اميـــــــاس في الصيف التالي الى النرويج .. وكانت تتحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها .. وغضبت .. غضبت لجو الخداع والنفاق الذى تعيش فيه .. ومن ثم صارحتها بالحقيقة .. ولم يستطع امياس الا أن يؤيدني وينصرني عليها .. ثم ذهبنا جميعا لشرب الشاى في منزل ميرديث ، وهنـــاك رايتها بعيني وهي تختلس كمية من سم السكونين من المعمل .. وقد خطر لى حينئذ انها ستنتحر به



وفي صباح اليوم التالي ، سمعتها تتشاجر مع امياس في غرفـــة المـكتبة .. وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة .. وقد بدا هو حديثه راجيا ان تكون عاقلة ، وان ترضى بالامر الواقع ، وان تتاكد بانه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتهما .. ولكنها ابت الا ان تثور عليه ، فهتف بها غاضبا : « ليس هناك مفر من زواجي بالزا .. سواء رضيت أم ابيت .. لن يمنعني من الزواج بها شيء فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق .. »

فقالت له كارولين عندئذ :

« افعل ما تريد ... فقد حذرتك »

« ماذا تعنين يا كارولين ؟ »

« اعني انك لى ... لى وحدى ، واني افضل أن اراك ميتا على أن أسمع لامرأة اخرى ان تظفر بك .. واذا تماديت هكذا مع نسائك فسوف اقتلك يوما »

وبعد برهة ، رايت فيليب بليك يقبل الى الشرفة ، فنهضت اليه حتى لا يسمع ما يجرى في غرفة المـكتبة

وبعد ذلك اقبل امياس مضطرم الوجه ، وطلب مني ان أذهب معه لكي يفرغ من رسم اللوحة ، فذهبنا الى حديقة البحر .. ولم يقل هو شيئا اكثر من ان كارولين ثائرة عليه ، ولكنه لا يريد ان يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة .. واذكر انه قال لي بالحرف الواحد :

« ان اللوحة هي اهم شيء في حياتي الآن .. وسوف تكون اروع عمل فني قمت به .. ولن اتراجع عن اتمامها حتى لو دفعت فيها كل هذا الثمن من الدموع والدماء »

وبعد نحو ساعة ، غادرت حديقة البحر لآتي بمعطفي الصوفي الاحمر لاضمه على كتفي ، اذ كان هواء البحر يهب على جسمي باردا ... ولما عدت الى الحديقة ، وجدت كارولين هناك ، ولعلها كانت تبذل محاولة اخيرة لاقناع امياس بخطئه نحوها .. وكذلك كان معهما فيليب وميرديث بليك .. وعندئذ قال امياس انه في حاجة الى بيرة مثلجة ، لأن البيرة الموضوعة في الحديقة ساخنة ورديئة المذاق ، فوعدته كارولين بارسال زجاجة بيرة مثلجة من القصر ، وكانت تتحدث بطريقة هادئة ، تدل على قوة اعصابها ، وبراعتها في التمثيل .. ولا شك في هذا .. فقد قررت في تلك اللحظة ان تأتي بالبيرة المثلجة ... السامة !

واحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق ، وكان امياس مشغولا بالرسم .. وملأت له الكأس ووضعتها بجانبه .. ولم يكن احدنا يراقبها وهي تفعل هذا .. فقد كان امياس منهمكا في عمله ، وكنت انا حريصة على البقاء في الوضع المطلوب مني

وشربه امياس الكأس ، وبدا على وجهه الامتعاض الشديد ، وقال ان للبيرة مذاقا مرا ، ولكن هذه الكأس ، على كل حال ، باردة منعشة .. والعجيب انني ، حتى هذه اللحظة ، لم اشك في الامر ، فقلت ضاحكة انه يعاني ولا ريب من مرض في الكبد ..

وبعد اربعين دقيقة تقريبا ، سمعت امياس يشكو من تصلب في عضلاته ، وقال انه يخشى ان يكون مصابا بروماتزم عضلي ، وكان دائما يسرب عن خوفه من المرض ، فداعبته قائلة انه رجل عجوز ، وداعبني قائلا انني سأتزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم ، واخيرا دق جرس الغداء ، فتهالك جالسا على المقعد الخشبي

المستطيل وقال انه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة ، واقبل ميرديث الى باب الحديقة ، فذهبت معه الى القصر لاتناول الغداء تاركة امياس يموت وانا لا ادرى .. انني لم ار في حياتي رجلا يحتضر .. وقد ظننته راقدا ، كعادته ، يستريح .. وآه لو كنت أعلم الحقيقة .. اذن لاستدعيت طبيبا في الحال ، ولكان من الممكن انقاذه .. ولكن ما فائدة الندم ؟

وبعد طعام الغداء ، وشرب القهوة في الشرفة ، ذهبت كارولين مع مس ويليامز ، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذى قتلته بيديها .. وعندما علمت بالكارثة ادركت فورا انها هي القاتلة .. وقد ظننت لاول وهلة انها لم تقتله بالسم ، وانما ذهبت وطعنته بسكين أو برصاصة مسدس

وكنت أريد أن انشب اظافري في عنقها

كيف طاوعتها نفسها على قتله .. كيف رضيته أن تنتزع الحياة من رجل كان ينبض بالحياة ويحب الحياة .. كل هذا لكي لا اظفر به دونها .. امرأة رهيبة .. امرأة لعينة حقيرة متوحشة .. انى اكرهها .. امقتها .. احقد عليها .. انهم لم يشنقوها .. وكان يجب ان يفعلوا .. بل ان الشنق كان اقل ما يجب لعقابها .. لشد ما امقتها حتى الآن ..



الفصل الحادى عشر

المربية العجوز

وهذه قصة المربية العجوز :

اسمى سيسليا ويليامز .. التحقت بالعمل لدى مسز كريل لاقوم بتربية مس انجيلاوارين والتدريس لها ، وكنت يومئذاك فى الخامسة والاربعين من عمرى ..

وبدات العمل فى قصر آلدربرى ، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة ، وكانت المزرعة من أملاك اسرة كريل منذ أجيال عديدة .. وكان سكان القصر مكونين من مستر ومسز كريل،وابنتهما كارلا التى كانت عند جدتها اثناء وقوع المأساة ، وانجيلا وارين ، وكانت يوم التحاقى بالعمل صبية فى الثالثة عشرة من عمرها ، وثلاث خادمات علمت انهن نشأن منذ طفولتهن فى خدمة آل كريل

وقد وجدت تلميذتى فتاة ذكية ، قادرة على فهم ما يلقى اليها من دروس ، لطيفة خفيفة الظل ، ولكنها عنيدة مدللة بسببإسراف مسز كريل فى حبها والعناية بها ..

أما المستر كريل ، فقد ادركت ، منذ اللحظة الاولى ، انه رجل هوائى، متقلب ، دموى المزاج ، ولست ادرى كيف استطاعت زوجته أن تحتمل الحياة معه ، رغم خياناته المتكررة لها ، كل هذه السنوات

ورأيت مس الزا جرير عند زيارتها الاولى فى أول الصيف ، وكان واضحا لكل ذى عينين ان ثمة علاقة حب بينها وبين كريل ، وان مسألة رسم اللوحة ليست الا ستارا لاقامة الفتاة مع كريل فى قصر آلدربرى

وليس أدل على ذلك من ان كريل لم يرسم شيئا فى اللوحة اثناء

زيارتها الاولى ، ولا شك انه كان هناك ما يشغلهما فى حديقة القصر من مهمة الرسم !

ولكن تلميذتى انجيلا ، والحمد لله ، لم تلحظ شيئا من هذا كله ، فقد كانت من ناحية الانوثة ، اقل كثيرا من سنها ، ولم يكن يهمها الا اللعب والمرح والدعابات والقراءة ..

اما الزا جرير ، فكانت فتاة تافهة التفكير ، سوقية الطباع ، لا يهمها فى الحياة الا مظهرها امام الناس واعجاب الرجال بها

واعتقد ان مسز كريل كانت تبذل كل جهدها لتخفى آلامها النفسية عن انجيلا حتى لا تظلل سعادة الفتاة الصغيرة باى ظل من الالم والتعاسة ..

وعادت الزا جرير الى لندن .. وشعرنا حينئذ كأن كابوسا ثقيلا قد ازيح من اكتافنا ، فقد كنا جميعا ، حتى الخدم ، نشعر بالكراهية لها .. اذ كانت من الاشخاص الذين يطالبون بالكثير دون ان يكلفوا انفسهم القاء كلمة شكر

وسافر المستر كريل بعدها ببضعة ايام .. وقد شعرت بالالم من اجل مسز كريل .. فقد كانت المسكينة تتعذب فى صمت من تصرفات زوجها ، ولكننا ، هى وانا ، رجونا ان يعود امياس من لندن وقد نفض يديه من هذا الحب الجديد ..

ولكنه ، للاسف ، عاد معها .. مع الزا .. وبدأ يرسم اللوحة فى حماس جنونى ، ولكنى مع هذا ادركت ان علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء ..

وبلغت الازمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة ، الزا ، فى وقاحتها وجرأتها ، وصارحت كارولين بعزمها على الزواج من كريل !

ورغم ان كريل كان غاضبا على صراحتها هذه ، فانه لم يستطع ان ينكر او يتراجع ، واعلن لزوجته ان ما قالته الزا هو الحقيقة

ولم اشهد فى حياتى موقفا مخجلا كهذا بين زوج وزوجته

لقد تمنيت فى تلك اللحظة ان يعاقب امياس كريل عقابا الهيا ، جزاء ما ارتكبه فى حق زوجة نبيلة كريمة متفانية ..

وبعد هذا المشهد العاصف .. حاولت أن أواسى كارولين ، فقالت لى :

ـــ على كل حال يجب ان نتصرف فى حياتنا كالمعتاد ، وكأن شيئا

لم يحدث .. والدليل على هذا اننا سنذهب لشرب الشاى فى بيت ميرديث بليك حسب الموعد المتفق عليه ..

« اعتقد يامسز كريل انك سيدة رائعة مدهشة »

« الحقيقة ، انك لا تعرفين ... »

ثم غادرت الغرفة ، ولم تلبث أن عادت وقالت :

« انك يامس ويليامز مخلصة . لاالتمس من وجودك بجانبى الراحة والعزاء »

وذهب جميعهم الى منزل المستر ميرديث بليك ، ثم عادوا فى نحو السادسة مساء

ولم استطع الانفراد بمسز كريل فى تلك الليلة .. ولكنى اذكر انها كانت هادئة اكثر مما كنت أتوقع ، وقد أوت الى فراشها فى ساعة مبكرة ، لقد كانت تتعذب فى صمت ..

وانتهت جلسة المساء بمشاجرة عنيفة ، مضحكة ، بين انجيلا واميااس كريل بشأن الحاقها بالمدرسة ، ولم يكن هناك ما يدعو امياس الى اثارة هذا الموضوع بعد أن تمت جميع الترتيبات لذهاب انجيلا الى المدرسة .. وقد بلغ من سخط انجيلا انها القت بثقالة ورق على امياس ، ثم ارسلت عليه وابلا من الدعوات الشريرة ، واندفعت الى غرفة نومها باكية



وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوما جميلا مشرقا ، وجدت ، بعد طعام الافطار ، جونلة انجيلا ملقاة فى غرفتها ، ممزقة فحملتها ورحت ابحث عنها لاجعلها ترتقها ، حتى تتعود على النظام والترتيب وترتق ملابسها بنفسها ، وقد بلغت فى بحثى عنها مزرعة المستر ميرديث بليك ، لانى كنت أعلم أن انجيلا تعودت أن تعبر الخليج بأحد الزوارق بمفردها وتذهب الى هناك لتاكل بعض ثمار التفاح الناضجة .. ولما عدت دون أن اعثر عليها ، رأيت مسز كريل مع المستر فيليب والمستر ميرديث فى شرفة القصر ، وكانت مسز كريل تقترح أن ترسل الى الاخرين بعض البيرة المثلجة ، وقد ذهبت مع مسز كريل الى الثلاجة الموضوعة فى غرفة صغيرة بالطابق الاول ، وهناك رأينا انجيلا تتناول من الثلاجة زجاجة بيرة ، وكان يبدو على وجهها انها ارتكبت شيئا .. وقد قالت لها مسز كريل :

أريد زجاجة بيرة مثلوجة لأمضي بها الى امياس »

وامسكت انا بانجيلا وعنفتها على هربها مني طوال فترة الصبح ، وطلبت منها أن ترتق الجونلة ؛ والعجيب انها استسلمت لتعنيفي في خضوع واستكانة .. ولم تكن هذه طبيعتها .. ولكنها كانت مدركة خطاها ، وكان واضحا على وجهها هذا الادراك

ولما سألتها اين كانت ؟ قالت انها كانت تسبح في الخليج ، فقلت لها انني لم أرها هنـــــاك ، فضحكت وتناولت الجونلة ووعدت باصلاحها فورا ..

وحل موعد الغداء .. ولم يحضره كريل ..

وبعد الطعام وشرب القهوة ، قررت أن اذهب لاستحضار صديرية انجيلا التي تركتها على الشاطيء بعد سباحتها مع المستر فيليب بليك .. وذهبت في الممر مع المسز كريل التي قالت انها ذاهبة لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء .. ولكنني ما كدت اتجاوز باب حديقة البحر ، حتى سمعت صيحتها وهي تناديني ، فأسرعت اليها حيث رأيت امياس جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم ، وطلبت مني مسز كريل أن استدعي طبيبا ، فغادرت الحديقــة الى الممر مسرعة ، وعندئذ التقيت بمستر ميرديث بليك فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعدت الى مسز كريل وانا اشعر انها احوج ماتكون الى من يقف بجانبها في تلك اللحظة

تلك هي قصتي ..

ولكن الشيء الذي اخفيه عن الجميـــع ، حتى عن مسز كريل نفسها ، هو انني رأيتها ، عند عودتي الى الحديقة بعـــد ان كلفت ميرديث بليك بمهمة استدعاء الطبيب ، اقول رأيت مســـز كريل منهمكة في ازالة بصمات الاصابع بمنديلها عن زجاجة البيرة ، ثم اذا هي تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجة .. كل هذا وهي متحفزة ، ترهف السمع ، والخوف الشديد يبدو على وجهها

هذه هي الحقيقة التي اخفيتها عن الجميع ، وهـــذا هو السبب الذي جعلني أومن تماما بان كارولين قتلت زوجها ، ومع ذلك فاني التمس لها العذر ، واحمل لها في نفسي كل عطف واشفاق ، ويهمني ان تعرف كارلا هذه الحقيقة ايضا ، وذلك لكي تستريح وتنسى المأســـاة تماما

الفصل الثاني عشر

انجيلا واردن مرة أخرى

عزيزي المسيو بوارو ..

انني أبر بوعدي لك ، وأكتب اليك بكل ما يتعلق بذاكرتي عن مأساة أختي كارولين وزوجها أمياس . والواقع انني لم أكن أعرف ضآلة ما أذكره الا بعد أن بدأت الكتابة ..

ان ذكريات ذلك الصيف كانت غامضة ..وأحداثه كانت متفرقة .. وقد جاء مقتل أمياس كضربة أصابت حياتي من حيث لا أدري أو أتوقع .. ذلك أني كنت غافلة عما كان يجري حولي من عواطف وتيارات انسانية خفية ..

ولست أدري هل فتيات الخامسة عشرة كلهن هكذا .. يعشن لأنفسهن ، ولا يكدن يدرين تماما بما يجري حولهن من مثل هذه التيارات العاطفية الخفية !

كنت مهتمة فقط باللعب ، والسباحة ، وتسلق الاشجار لاقتطاف الفاكهة ، واطعام الجياد ، وتدبير المقالب للخادمات ، وأحيانا لأمياس كريل نفسه ..

وكنت عدا هذا مشغوفة بقراءة الكتب والروايات والمجلات

ولعلك تسألني عن شعوري نحو كارولين وأمياس في ذلك الحين .. حسنا .. كان شعورا طبيعيا ... كنت أحب أختي كارولين كأعظم ما يكون الحب بين أخت وأخت .. شقيقة أو غير شقيقة ، وكنت أميل الى أمياس .. وأحبه كأخ أكبر .. أو كوالد ، وذلك رغم المشادات العنيفة التي كانت تقع بيننا كلما تمادى في اغاظتي واثارتي

ولكني ، في الوقت نفسه كنت أغار على أختي منه ، وقد أدركت الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته مني

وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو في علاقتي بهما ·· وانما كنت أشعر بهما كما يشعر الانسان بأهله وذويه

ولما أقبلت الزا في أول زيارة ، لم أحفل بها أو أشغل نفسي بأمرها ·· فقد بدت لي من اللحظة الاولى أنها سوقية ، جاهلة ، بل انى لم أفكر في أنها جميلة ·· وانما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والنفور

ولم أعرف في الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين أمياس الا أثناء زيارتها الثانية ، الطويلة ، للقصر ·· وقد كنت في الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث مع أمياس في غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به ··· وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا ، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس كريل في حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاى ، قائلة : « لماذا تقول الزا انها ستتزوج بك ؟ ان هذا مستحيل ، فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين ، ان هذا مخالف للقانون والشريعة أليس كذلك ؟ »

فغضب أمياس وقال بحدة : « كيف سمعت هذا يحق الشيطان؟»

« سمعتها وهي تحدثك في غرفة المكتبة »

فازداد غضبا ، وقال ان الأوان قد آن فعلا لالحاقي بالمدرسة، وأنه سيلحقني بها في أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع - فقلت له بغضب انني لم أكن أقصد أن أسترق السمع ، وأنه يتهمني بهذا ظلما · وأخيرا ابتسم ، وقال ان ماسمعته لايعدو أن يكون دعابة من جانب الزا

وقلت لالزا ونحن في طريق العودة الى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للمستر ميرديث بليك : « لقد سألت أمياس عن معنى قولك له انك ستتزوجين به ، فقال ان الامر لايعدو أن يكون دعابة »

وكنت أريد ان أغيظها وأثيرها···ولكنها ابتسمت ، ولم تعجبني ابتسامتها

وذهبت الى كارولين في غرفتها حيث كانت تستعد للهبوط الى طعام العشاء ، وسألتها هل يمكن أن يتزوج أمياس بالزا ، وانى لأذكر اجابتها الحاسمة الاكيدة وكأنى أسمعها الآن : « ان أمياس لن يتزوج من الزا ، أو من غيرها الا بعد وفاتي »

وهدأت اجابتها هذه من مخاوفي ، وأعادت الاطمئنان الى نفسي

ولكني بقيت ساخطة على أمياس،وهكذا انتهزت فرصةاثارته لموضوع المدرسة ، فتشاجرت معه بعنف ، وصببت على رأسه مجموعة من الدعوات،، ثم اندفعت باكية الى غرفة نومي

ولست أذكر شيئا كثيرا مما حدث فى صباح اليوم التالى ، قبل المأساة ٠٠ أذكر فقط أني تجولت هنا وهناك ، وسبحت فى الخليج ، ولكني أذكر تماما اسراع ميرديث الى الشرفة فى اهتيـــاج قائلا ان أمياس مات ، وأذكر انفعال الزا وسقوط قدح القهوة من يدها وهى تطلق صيحة رهيبة ، ثم تسـدو بسرعة عجيبة فى الممر الى حـديقة البحر ، وكنت أردد لنفسي : « مات أمياس ٠٠٠ مات أمياس » دون أن أشعر بأن ماحدث حقيقة وليس حلما أو خيالا

وأذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين ، وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ، ولكني أسرعت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت راقدة على الاريكة ، ممتقعة ، مريضة ، فلمـا رأتني قبلتنى وطلبت مني أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة لأن مثل هذه الامور جد رهيبة بالنسبة لفتاة صـغيرة مثـلى ، ولكنى لم أكن مهتمة الا بحالة أختى ، وأخيرا أرسـلونى الى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها الليدى تريسليان

ولست أنسى كيف ودعتنى كارولين فى حب وحنان وهى تطلب منى فى رجاء ولهفة الا أفكر فى الامر ، والا أحزن أو أقلق٠٠وكذلك لست أنسى اسئلة رجال البوليس لى قبل رحيلى ٠٠ ولكنهم لم يلحوا فى القاء الاسئلة على ٠٠ فقد كانت الجريمة ، بالنسبة اليهم واضحة كل الوضوح ٠٠

وهكذا لم يجد المسئولون سببا يمنعهم من التصريح لى بالذهاب الى الليدى تريسليان للاقامة معها حتى تنتهى المحاكمة

واستقبلتنى الليدى تريسليان فى حب وعطف واشفاق٠٠وبرغم حرص الجميع على اخفاء الحقيقة عنى ، فقد علمت أن رجال البوليس القوا القبض على أختى كارولين ، وأذكر أني مرضت من فرط الفزع والحزن

وسمعت فيما بعد أن أختي كانت ، بعد القبض عليها ، شـديدة القلق بشأني ، وأنها هى التى أصرت على ترحيـلى الى خارج انجلترا قبل المحاكمة ٠٠

وقد أخبرتك بهذا كله

ومرة أخرى أقول انني واثقة تماما بأن أختي لم ترتكب هـــذه الجريمة ، اقول واثقة ، ولكنني لا أستطيع ان أقدم الدليل المادى على براءتها !

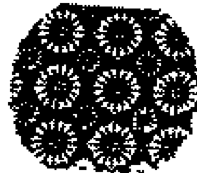
فليرحمها الله ...



والآن ... ما راي السادة القراء ؟

لقد وضعت المؤلفة بين ايديهم جميع الحقائق والملابسات المحيطة بالجريمة...انها لم تخف عنهم شيئا...فهل يمكن ان ينتصر بعضهم، او كلهم ، عليها في هذه المباراة الممتعة ويعرفوا الحقيقـة التي وصل اليها بوارو ؟

لقد وصل بوارو الى الحقيقة ، بعد حصوله على هذه المعلومات التي وردت في الصفحات السابقة !



الفصل الثالث عشر

وبعد !!

رفعت كارلا لامرشــانت ، ابنة كارولين وكريل ، رأسـها عن الاوراق الموضوعة أمامها ، التي تحكي مأسـاة والديها في تفصـيل ووضوح ، ثم قالت بصوت متعب :

ـ لقد ازددت حيرة فوق حيرتي ، فان كل واحد من هؤلاء ينظر الى أمي من زاوية مختلفة ، ولكن الحقائق واحدة ... وكلهم متفقون عليها !!

ـ هل ثبطت قراءتك لهذه التقارير من عزيمتك ؟

ـ نعم ... وأنت ؟

ـ لا ... لقد وجدت في هذه التقارير كل ما أردت العثور عليه

ـ ولكني اتمنى لو اني لم اقرأها ، فقد اصبحت الآن موقنـة بادانة أمي

فنظر بوارو اليها برهة ، ثم قال :

ـ أهكذا ؟

ـ نعم ، انهم جميعا يعتقدون أن أمي مدانة ، فيما عدا انجيـلا ، ولها العذر ، فهي أختهـا ، أما ميرديث ، فهو يحاول أن يخفي ادانة أمي على غير جدوى .. وكذلك لم تستطع انجيلا ، رغم ذكائها وقوة تفكيرها ، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر ايمانها ببراءة أمي

ـ أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير ؟

ـ نعم ، وليس من شك في أن هؤلاء الاشخاص الخمسة قد اجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على ادانة أمي ، لأنها اذا لم تكن هي

التي ارتكبت الجريمة ، فلا بد أن يكون مرتكبها واحدا منهم

فابتسم بوارو وقال :

ــ آه ... هذا رأى مثير ، وهل يمكن أن توضحيه لى ؟

ــ أستطيع فقط أن أقدم اليك احتمالات لادليل عليها ، فمثلا فيليب بليك : انه سمسار مالى ، وكان من أخلص أصدقاء أبى . ومن المحتمل أن يكون أبى قد اقرضه أو أودع لديه مبلغا ضخما ، والمعروف أن الفنانين مستهترون دائما من الناحية المالية ، ولعل فيليب ، تحت ضغط ظروف طارئة ، كان قد ضيع المال الذى اؤتمن عليه ، ولعله قد جعل أبى يوقع على شيء ، ثم تطورت الاحوال وخشى فيليب من الفضيحة ، التى لا نجاة منها الا بموت أبى ، هذه بعض الافكار التى دارت برأسى عن هذا الاحتمال

وأومأ بوارو برأسه وقال :

ــ لا بأس ، والاحتمال الثانى ؟

ــ وهناك الزا جرير ... انها فتاة لا تتورع عن أى شيء ، ولعلها تكون قد اختلست السم لكى تقتل به أمى حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبى بأية حال من الاحوال .. وفتاة مثل الزا لاتقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج الى ما لا نهاية .. انها لا ترضى بأقل من الزواج من هذا الرجل الذى تحبه ، ومن ثم فهى لاتكف عن الحديث عن الزواج والمستقبل .. أقول انها اختلست السم لتقتل به أمى ، فكانت النتيجة أن مات أبى بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدرى

وابتسم بوارو وقال :

ــ وهذا احتمال لا بأس به أيضا ، والثالث ؟

ــ ميرديث ...

ــ ميرديث بليك ؟

ــ نعم ...

ــ حتى ميرديث بليك أدخلته فى نطاق احتمالاتك ؟

ــ ولم لا ؟ هل يوجد انسان فى هذه الدنيا معصوم من ارتكاب جريمة قتل ؟ انه يبدو لى من النوع الذى لايتردد كثيرا فى ارتكاب

جريمة قتل ·· فهو ضيق التفكير ، محدود الخيال ، بطيء ، متردد ، موضع ضحك وسخرية الغير ، ولعله،في أعماق‌نفسه،يشعر بالسخط على هذا كله ·· ثم تزوج أبي الفتاة التي كان ميرديث يتمنى الزواج بها ·· ونجح أبي في حياته وظفر بالمال والشهرة ·· وعمد ميرديث للتنفيس عن كبته النفسي الى هـــذه الهواية الخطرة في استخراج العقاقير والسموم من النباتات والاعشـــاب ·· ولعله شغف بهـــذه الهواية لأنه كان يتمنى ، في قرارة نفسه ، أن يقتل شخصا ما ذات يوم ·· ولعله لفت أنظار الجميع الى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة ·· ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس الى‌أخذالسم‌من‌معمله بنفسه ·· بل لعله أراد ، أيضا ، أن يرسل بأمي الى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبي عليه ·· ولعله كان يقصـــد التعبير عن نفسه في كتابته عن الاشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعة منهم ، وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبي مات منتحرا ··

ـ انك على صواب في هذه الناحية ·· وهو أنه ليس من المحتم‌أن يكون كل ما كتبه الواحد منهم حقا لا شائبة فيه ·· فلعل بعضهم عمد الى كتابة أشياء لتضليلنا عن الحقيقة

ـ ان هذا هو أملي الاخير ، الوحيد ··· ان كان ثمة مجال للامل! بعد هذا كله !

ـ هل هناك احتمالات أخرى ؟

ـ خطر في بالي ان مس ويليامز قد تكون هي القاتلة حتى لاتفقد وظيفتها ·· ولكني أستبعد هـذا الاحتمال تماما ·· فاذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال، فان مس ويليامز ، كما يبدو لي من حـديثك عنها ، ومن مذكراتها ، ليست بالسيدة التي تهتم بالمال الى حد ارتكاب الجرائم في سبيله ·· لا ·· لم يبق أمامي الا أن أســـتسلم للامر الواقع ·· فان هـــذه الاحتمالات كلها تكاد تكون في حكم المستحيل ·· نعم ·· لقد آمنت الآن ان امي ليســت بريئة كما اظن ، وانه لم يبق امامي الا ان افسخ خطبتي

وتهدج صوت كارلا قليلا ، وهي تستطرد قائلة :

ـ نعم ·· لا تتعجب يامسيو بوارو ·· انني لا أستطيع أن‌أتزوج

وهذا السيف الرهيب مصلت على راسى ·· لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر الى الرجل الذى أحبه فى شىء من الخوف والحذر اذا تشاجرنا يوما ·· خير لى ، انا الابنة الوحيدة للرسام كريل الذى قتلته زوجته ·· أمى ·· أن أهجر العالم ، واقضى ايامى فى الدير ، استغفر الله لهما ، واقطع ، بموتى ، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الارض ··

فنظر اليها بوارو برهة ، ثم قال :

ـ اذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة ؟

فازداد صوتها تهدجا وقالت :

ـ نعم ·· وانى مقدرة لك كل ما بذلت من جهد فى هذا السبيل، ولن اضن عليك باى قدر من المال مكافاة لك

فنظر بوارو اليها مرة أخرى ، ثم هز راسه وقال :

ـ ان مكافاتى الحقيقية هى العمل على تبرئة سيدة مظلومة !

ـ ماذا تعنى ؟

ـ اعنى أنك تريدين أن تخرجى من المعركة فى اللحظة التى وضحت لى فيها الحقيقة كاملة ··

ـ لست أفهم تماما ماذا تعنى يامسيو بوارو ··

ـ أعنى أننى ـ هيركيول بوارو ـ قد عرفت من تحسرياتى مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، ومن كتاباتهم ، أن والدتك كانت مظلومة !

فهزت كارلا راسها فى يأس وقالت :

ـ أتقول هذا بعد أن ذكرت مس ويليامز بوضوح أنها شاهدت أمى وهى تزيل بصمات أصابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات أبى وهو ميت ؟

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ لو أن الذى ذكر هذه الحقيقة شاهد آخر ، لاتهمته بالكذب ، ولكن مس ويليامز كانت تحب أمى حتى آخر لحظة ، وقد وقفت فى صفها ، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاة ، فهل يمكن أن نشك فى أقوالها ؟

فقال بوارو :

ـــ انني آخر من يشك في أقوال مس ويليامز في هـــذا الشأن بالذات !

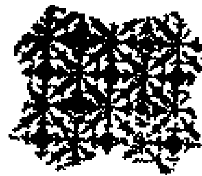
ـــ عجبا !..

وعندئذ نهض بوارو وقال :

ـــ اسمعي يامس كارلا ، أن رؤية مس ويليامز لأمك ، وهي تزيل بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة ، لتطبع عليهـا بصمات أصـابع أبيك ، هي الدليل الحاسم ، الذي جعلني أومن بأن أمك لم ترتكب هذه الجريمة !

ثم غادر الغرفة .

وظلت كارلا واقفة تشيعه بنظراتها في ذهول ودهشة وعجب



الفصل الرابع عشر

بوارو يسأل

ذهب هيركيول بوارو الى فيليب بليك وقال له فى هدوء ورقة :

ـ لقد جئت لأشكر لك ما بذلته من جهد فى كتابة ذكرياتك عن مأساة صديقك امياس كريل ، الواقع انك أوضحت لى كثيرا من النواحى التى كانت غامضة

فقال فيليب ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه :

ـ الواقع انى دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة ، بمجرد أن بدأت الكتابة !

ـ نعم .. نعم .. ولكن هذا لا يمنع من القول انك لم تذكر كل شىء !

فقطب بليك جبينه وقال :

ـ لم اذكر كل شىء ؟

فقال بوارو :

ـ ان روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح ... ولكن !

ثم أردف بوارو فى صوت لا يخلو من جفاف :

ـ لقد قيل لى يامستر بليك ان مسز كريل شوهدت ، مرة واحدة على الاقل ، وهى تخرج من غرفتك فى ساعة متأخرة من الليل !..

وخيم الصمت على الغرفة ، وراح فيليب بليك ينظر فى حيرة وغضب ودهشة الى بوارو ، ثم قال أخيرا :

ـ من قال لك هذا ؟

فهز بوارو رأسه وقال :

ـــ ليس من المهم ان تعرف من الذى اخبرنى . ولـكن المهم هو انني اعرف هذه الحقيقة

ومرة اخرى خيم الصمت ، وبدا فيليب فى سمت الرجل الـذى يقرر فى نفسه امرا ، واخيرا قال :

ـــ يبدو انك عرفت مسالة خاصة عن طريق المصادفة ، وايا كان الامر ، فانى اجد نفسي مضطرا لان اخبرك بالحقيقة . . الحقيقة التي حاولت اخفاءها من سطور حكايتي

وهز كتفيه ثم اردف قائلا :

ـــ انني لا انكر شعورى العدائي نحو كارولين ، ولـكنني ، فى الوقت نفسـه ، كنت مفتونا بها ، ولعل هذه الحقيقة هى التى دفعت بعضهم الى اخبارك بهذا الذى قلته لى الآن ، وهذه الحقيقة ايضـا هى التى كانت تجعلني اشعر دائما بالثورة على نفسى وعلى خضوعى لجاذبيتها ، ومن ثم كنت دائما احاول أن التمس لها الاخطاء واضخم لها العيـوب حتى تصغر فى عيني ، وتخف وطأة سـحرها على . وارجو ان تفهم انني لم احبها يوما هذا الحب الروحى المقدس ، وانما كنت مفتونا بجاذبيتها ، وكنت اخشى فى اية لحظة ان اهبط بمشاعرى فاراودها عن نفسي . . وجملة الحقيقة هى انني احببتها وانا فى ميعة الصبا والشـباب ، ولـكنها لم تكن تبالى بى ، او تشعر بوجودى ، وقد عشت حياتى كلها وانا لا اغفر لها هذا الموقف

وصمت فيليب برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ـــ وحانت فرصتى عندما استغرق امياس الى اذنيه فى حب هذه الفتاة الزا جرير ، واذا انا اجد نفسي اصارح كارولين بحبى لها ، واذا هى تقول بهدوء : «نعم يافيليب ، لقد كنت اعرف دائما انك تحبني ! » فيالها من امراة رهيبة ، كانت تعرف دائما انى احبهـا دون أن تحفل بأمرى ، أو تهتم بمشاعرى !

ومرة اخرى صمت فيليب وقد بدت اشد امارات الحقد على وجهه ، ثم استأنف حديثه قائلا :

ـــ نعم . . كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوى يوما . . ولكنى لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب وثورة بسبب موقف امياس من تلك الفتاة الزا . . واذا استبـدت مثل هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتهـا . .

وهكذا رضيت بزيارتي ليلا في غرفتي بالقصر .. وجاءت ولكنني ما كدت أحيطها بذراعي حتى تخلصت مني وقالت بهدوئها القاتل انه لا فائدة من هذا كله .. وانها امرأة رجل واحد ، امرأة اذا احبت رجلا ، فلن تستطيع أن تحب غيره مهما يكن الحال ، وانها ستبقى على حب امياس سواء بقى زوجا لها او تزوج من غيرها . ثم أعترفت انها عاملتني بقسوة واساءت الى بقبولها الحضور الى غرفتي ، ثم امتناعها علي . واعتذرت بأنها لا تملك من أمر قلبها شيئا ، وطلبت مني أن أصفح عنها ، ثم انصرفت عني ، فهل تعجب بعد هذا يا مسيو بوارو اذا قلت لك ان كراهيتي لكارولين قد بلغت الذروة ، وانني لم أصفح عنها او اغفر لها هذه الاهانة التي وجهتها الى عواطفي . هذا عدا قتلها لاخلص صديق الى

وارتعد فيليب فجأة ، وقال بعنف :

ــ انني لا اريد الافاضة في هذا الحديث ، لقد اجبت على سؤالك، فهلم انصرف عني !



وذهب بوارو للمستر ميرديث بليك وقال له :

ــ أرجو يامستر ميرديث بليك أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك من غرفة المعمل في ذلك اليوم

فاحتج ميرديث قائلا :

ــ ولكن ، كيف استطيع ان اتذكر هذا يا مسيو بوارو ، بعد مرور ستة عشر عاما ؟ يكفي اني قلت لك ان كارولين كانت آخر من غادر الغرفة

ــ هل انت واثق من هذا ؟

ــ نعم ... على الاقل

ــ هلم تمضي الى غرفة المعمل لتستعيد ذكرياتك ، فاننا نريد أن نتأكد

وهناك في غرفة المعمل ، قال بوارو :

ــ والآن يا مستر بليك ، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ، ثم بدأوا ينصرفون . اغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم

وأطاع ميرديث ، واغمض عينيه ، وتناول بوارو منديل جيبه ، وراح يلوح به أمام وجهه ، وغمغم ميرديث وهو يستنشق الرائحة المنبعثة من المنديل :

ـ نعم .. نعم .. عجيب أن تتضح الذكريات امام ذهني هكذا ، اني اتذكر كارولين ، كانت ترتدي ثوبا في لون القهوة الخفيفة ، وكان فيليب يبدو ملولا ، هكذا كان دائما كلما سمعني اتحدث عن هوايتي

وقال بوارو :

ـ تذكر الآن ، انكم توشكون على مغادرة المعمل الى المكتبة ، لتقرأ عليهم الفصل الخاص بموت سقراط ، فمن الذي غادر الغرفة أولا ؟

ـ الزا وانا .. نعم .. لقد اجتازت الباب أولا وانا وراءها .. كنت اواصل الحديث معها ، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج الباقين حتى أغلق الباب بالمفتاح .. فيليب .. نعم غادر فيليب الغرفة بعدنا ، ثم .. انجيلا ، ثم امياس .. وبقيت انتظر خروج كارولين

ـ اي انك واثق تماما بانها كانت آخر من غادر الغرفة ، فهل رايته ماذا كانت تفعل بها ؟

ـ لا .. لقد كنت واقفا وظهري الى الباب اتحدث الى الزا واثير ، ـ ولا شك ـ الملل في نفسها بحديثي.. ثم اقبلت كارولين.. مسرعة واغلقت الباب بالمفتاح ..

وتوقف عن الحديث ، وفتح عينيه ، ورأى بوارو وهو يعيـــد المنديل الى جيبه ، وتشمم الهواء برهة ، ثم قال لنفســه : « عجبا .. ان الرجل يضع في منديله عطرا »

ثم قال بصوت مسموع :

ـ انني واثق من هذا الترتيب .. الزا اولا .. ثم انا .. ثم فيليب .. ثم انجيلا .. ثم امياس .. واخيرا كارولين .. فهـل هذا يوضح شيئا ؟

فقال بوارو :

ـ نعم ، يوضح كل شيء ، اسمع يا مستر بليك ، انني سادعو الباقين للاجتماع هنا ، في هذه الغرفة ... فهل لديك اعتراض ؟

ـ لا ... مطلقا ، ولـكن لمـاذا ؟

ـ لنعرف الحقيقة كلها !



ثم ذهب الى الزا وسألها :

ـ ارجو أن تسمحي لي بالقاء سؤال واحد يا ليدي ديتشام :

ـ اسأل ...

ـ بعد أن انتهى كل شيء ، بعد المحاكمة وصدور الحكم ، هل طلب ميرديث الزواج منك ؟

فحدقت الزا ديتشام النظر فى وجه بوارو ، ثم ارتسمت على وجهها امارات السأم والاحتقار ، وقالت :

ـ نعم ، طلب أن أتزوج به . . . ولكن لماذا تسأل ؟

ـ وهل ادهشك هذا الطلب ؟

ـ ادهشنى ؟ اننى لا اتذكر !

ـ بماذا اجبته عليه ؟

ـ بماذا تظن انى ساجيب عليه ؟ أيعقل ان أتزوج ، بعد غرامى بأمياس ، برجل مثل ميرديث ؟ ان هذا الامر يثير السخرية والضحك، لقد كان أحمق فى طلبه الزواج بى ، وهو دائما غبى أحمق

وابتسمت فى شحوب وقالت :

ـ لقد أراد ان يحمينى ويرعانى ، هكذا قال ، ظن ان الرأى العام كله ضدى ، وانه لم يعد لى مجال للحياة فى هذا البلد . . ولكن المسكين لم يكن يعرف انى كنت استمتع بما حدث ، ولم يكن يهمنى رأى الغوغاء عنى !

وضحكت الزا مرة أخرى عاليا !



واجابت مس ويليامز على سؤال بوارو بشأن اصابة انجيلا على يد أختها قائلة :

ـ لمست انجيلا ذات يوم خدها المشوه ، وقالت : « أن كارولين هى التى فعلت هذا ، ضربتنى بثقالة ورق وأنا طفلة صغيرة جدا ولكن ، لا تشيرى الى هذا الموضوع امامها لانها تضطرب جدا كما تذكرته »

فقال بوارو :

ـ ولكنى سمعت ، أو عرفت ، اثناء تحرياتى انها ضربتها بقضيب حديدى

ـ اننى لا أعرف عن هذا شيئا

ـ الم تشر مسز كريل ذات مرة الى هذا الموضوع فى احاديثها معك ؟

ـ كانت تشير اليه بطريقة غير مباشرة ، على أساس اننى أعرف

كل شيء عنه ، واذكر انها قالت لي مرة : « انا اعرف ، انك تظنين انني افسد انجيلا بتدليلي لها واسرافي في تلبية رغباتها ، ولكنني اشعر دائما بانني مهما فعلت لها ، فلن استطيع أن أعوضها عن تشويهي لوجهها » . وقالت في مناسبة أخرى : « ليس هناك عذاب اشد من احساس الانسان بانه السبب المباشر في اصابة شخص آخر بعاهة مستديمة »

فقال بوارو :

ـ شكرا يا مس ويليامز ، هذا هو كل ما اردت ان اعرفه !

فقالت مس ويليامز بحدة :

ـ انني لا افهمك يا مسيو بوارو ، الم تطلع كارلا على تقريري عن المأساة ؟

ـ نعم ... اطلعتها

ـ ومع ذلك مازلت تعتقد أن ...

فقاطعها بوارو قائلا :

ـ ان الظواهر كثيرا ما تكون خادعة !

ـ ولكن الحقائق لا يمكن ..

ـ انك قد ترين باقة من الورد الاحمر العاطر في غرفة استقبال احد الاغنياء في شهر يناير ، فتحسبينها ورودا اصطناعية ، بينما هي ، في الواقع ، حقيقية جيء بها في الطائرة من جنوب افريقيا !

ـ ولكن ما دخل هذا اللغو كله في موضوعنا ؟

ـ اريد أن ابين لك ان الانسان في الحقيقة يرى بعيني عقله !

وانصرف بوارو ، تاركا مس ويليامز اشد ما تكون حيرة ازاء هذه الالغاز !



واستقبلت انجيلا وارين هيركيول بوارو في مودة وترحاب ، وقالت :

ـ هل استطعت ان تكتشف جديدا في الموضوع ؟

فاومأ بوارو برأسه وقال :

ـ يمكنني ان اقول انني في الطريق الى الحقيقة اخيرا ...

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك اكثر مما فيه من نبرات اليقين :

ـ فيليب بليك ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

ـ انني يا مس وارين لا أريد الآن ان اقول شيئا ، ان الوقت لم يحن بعد لكشف الحقيقة كلها ، وكل ما أرجوه منك ان تتكرمي بالحضور الى منزل مستر مرديث في ضيعة هاندكروس ... وسيحضر الجميع هناك ..

فقطبت جبينها وقالت :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟ أتعتقد أن في مقدورك اعادة الموقف الى ما كان عليه منذ ستة عشر عاما ؟

فأومأ برأسه وقال :

ـ ربما استطعت ان ارى الموقف من زاوية اوضح ... هل ستحضرين ؟

فقالت فورا :

ـ نعم .. سأحضر ، فمن الطريف ان ارى كلّ هؤلاء الناس مرة اخرى بعد كل هذه المدة الطويلة ... ولعلي أراهم ، كما قلت ، من زاوية اوضح

فقال بوارو :

ـ هل ستحضرين معك الخطاب الذى اطلعتني عليه ، الخطاب الذى ارسلته اليك أختك عقب صدور الحكم عليها ؟

فقطبت انجيلا جبينها وقالت :

ـ ان هذا الخطاب من خصوصياتي ، وقد اطلعتك عليه لاسباب اوضحتها لك ، ولكنني لست مستعدة لان يقرأه أشخاص غرباء لا يفهمون ولا يقدرون

ـ ولكنك ستسمحين لي بتوجيهك في هذا الموضوع !

ـ انني لن افعل شيئا من هذا القبيل ، ولكنى سأحضر معي الخطاب على سبيل الاحتياط ، فاذا وجدت ما يدعو الى قراءته ، فلن أمانع !

فبسط بوارو يديه مستسلما وقال :

ـ اذن اسمحي لي أن القى عليك سؤالا واحدا

ـ ما هو ؟

ـ هل كنت تقرئين فى أيام المأساة رواية سومرست موم «القمر وستة بنسات » ؟ (١)

فارتسمت الدهشة البالغة على وجه انجيلا وقالت :

ـ عجبا ! كيف عرفت هذا ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ اردت ان ابين لك انني رجل شديد الذكاء ، أستطيع أن أعرف الاشياء دون أن يخبرنى بها أحد !

---

(١) ترجمت روايات الهلال هذه الرواية ونشرتها بعنوان « قلب المرأة »

الفصل الخامس عشر

الاجتماع الأخير

كانت اشعة شمس الاصيل تنساب الى غرفة العمل من نافذتها الغربية ، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع !

وكان ميرديث يتحدث الى كارلا فى شىء من الاضطراب ، وهو يعبث بشاربه ، ثم اذا هو يتوقف فجاة ويقول :

ـ أوه ، انك يا عزيزتى تشبهين والدتك فى جوانب كثيرة ، ولكنك تختلفين عنها فى جوانب اخرى

فقالت له كارلا :

ـ فيم اشبهها ، وفيم اختلف عنها ؟

فتردد ميرديث برهة قبل أن يقول :

ـ انك تشبهينها فى لون البشرة ، وفى الحركة . . . ولكنك تخالفينها فى انك أكثر واقعية وادراكا لحقائق الحياة منها

وكان فيليب بليك ينظر مقطب الجبين من النافذة الى المروج الخضراء ، وينقر فى ضيق ، وتوتر عصبى على المصراع ، ثم يقول:

ـ ما معنى هذا كله ، ان الجو اليوم رائع ، وكان ينبغى أن نقضى هذه الفترة فى لعب الجولف بدلا من الجلوس فى هذه الغرفة المهجورة

فاسرع بوارو يقول :

ـ أوه . . . انني آسف يا مستر بليك ، حقا ان الجو اليوم رائع للعب الجولف ، ولكن هذه هى كارلا ، ابنة أعز صديق لك ، واعتقد

تماما انك لا تتردد فى تقديم اية مساعدة لها
وعندئذ اقبل الخادم وقال :
ـ حضرت مس وارين ..
ونهض ميرديث لاستقبالها قائلا :
ـ جميل منك يامس وارين أن تشرفينا بالحضور ، رغم مشاغلك الكثيرة فلا شك ان وقتك دائما مشغول بمهام الامور
وسار معها نحو النافذة
ونهضت كارلا وهي تهتف فى سرور :
ـ هـالو خالتي انجيـلا ، قرات مقـالتك فى صحيفة التايمز هذا الصباح ، جميل جدا ان يكون للانسان خالة مشهورة مثلك
ثم اشارت الى شاب طويل ، عريض الفكين ، رمادى العينين ، هادىء السمت وقالت :
ـ هذا هو جون راتيرى ، الذى ارجو أن يتم زواجي به
وتمتمت انجيلا قائلة :
ـ أوه ... لم أكن اعرف ...
ومضى ميرديث لاستقبال مس ويليامز التى بدت عند الباب ، فصافحها فى حرارة قائلا :
ـ اوه مس ويليامز ، لقد انصرمت اعوام عديدة منذ تقابلنا آخر مرة ...
وتقدمت مس ويليامز بجسمها النحيل الطويل، وعينيها المركزتين على بوارو ، ثم اذا هى تلتفت الى الشاب جون راتيرى وتتأمله
واسرعت انجيلا وارين اليها وقالت لها باسمة وهى تصافحها :
ـ تصورى يامس ويليامز اننى اشعر الآن كأنى مازلت تلميذة أمام مدرستها الحبيبة الحازمة !
فقالت مس ويليامز بصوت ينم عن السرور والحماس :
ـ انني جد فخورة بك يا مس وارين ، لقد شرفتني ورفعت راسي عاليا ، اذ حسب الانسان سرورا ورضاء أن يكون له تلميذة رائعة مثلك
ثم التفتت الى كارلا واردفت قائلة :

ــ اعتقد ان هذه كارلا ، آه ... انها لاتذكرني طبعا ، فقد كانت جد صغيرة

واستدار فيليب بليك وقال متجهما :

ــ ماهذا كله ؟ ان احدا لم يخبرني بأن ...

واسرع هيركيول بوارو قائلا :

ــ آه ، معذرة يا مستر بليك ، انني اسمي هذا الاجتماع «رحلة الى الماضي » ، تفضلوا جميعا بالجلوس ، وسوف نبدأ الاجتماع بمجرد وصول العضو الاخير ، الليدى الزا ديتشام ، وعندما تصل سوف تظهر الارواح !

فقال فيليب :

ــ ماهذا الهراء يا مسيو بوارو ، هل هي جلسة تحضير ارواح؟

ــ لا .. لا .. ليس هذا ما أعني ، ولكني اعتقد ان حديثنا عن الماضي ، وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الاليمة ، سيؤدى الى استحضار روح امياس كريل ، وروح زوجته كارولين في هذه الغرفة دون ان نراهما ، ولكن من المؤكد أننا سنشعر بهما

فهتف فيليب قائلا :

ــ كلام فارغ !

وتوقف فجأة عن الحديث المنيف حين فتح الخادم الباب وقال:

ــ ليدى ديتشام

واقبلت الزا الى الغرفة في جراة ووقاحة واستهتار ، واومأت برأسها في ابتسامة خفيفة الى ميرديث ، وارسلت نظرة باردة الى انجيلاوارين،ثم الى فيليب،ثم مضت الى مقعدمنفردعن بقيةالمقاعد،بالقرب من النافذة ، وخلعت معطفها الفراء الثمين ، ثم تلفتت برهة في جوانب الغرفة ، هذا بينما كانت كارلا تتأمل هذه المرأة التي كانت السبب المباشر في وقوع المأساة ... المأساة التي حرمتها من ابيها ولطخت اسم امها بالجريمة والعار

ولكن لم يكن في نظراتها اية امارات للحقد ،العداء

وقالت الزا في برود :

ــ انني آسفة اذا كنت قد تأخرت قليلا يا مسيو بوارو

فابتسم بوارو وقال :

ـ ان مجرد حضورك شرف كبير

واصدرت مس ويليامز من انفها صوتا ينم عن الاحتقار والسخرية، ولكن الزا لم تكترث بشيء من هذا ، وانما قالت موجهة الحديث هذه المرة الى انجيلا :

ـ كدت الا اعرفك يا انجيلا ، كم مضى من السنين على .. على .. آخر لقاء ؟ ستة عشر عاما ؟

وانتهز هيركيول بوارو هذه الفرصة وقال :

ـ نعم ، مضى ستة عشر عاما على هذه الاحداث التى سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل ، واحب اولا ان اوضح لكم السبب فى هذا الاجتماع

وفى كلمات قليلة واضحة ، ذكر لهم المهمة التى كلفته بها كارلا لامرشانت، وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحرى عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ، وصدر فيها الحكم بالادانة

وكان يتحدث بسرعة ، متجاهلا ثورة الغضب التى كانت تتجمع على وجه فيليب ، وامارات الاشمئزاز التى تم عليها وجه ميرديث

وكأنما كان كل منهما يقول له :« أيها الكاذب الملفق... الخبيث ! »

وكان بوارو قد اختتم حديثه قائلا :

ـ نعم .. قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة



وكانت كارلا لامرشانت ، ابنة كريل وكارولين ، جالسة فى مقعد وثير ، تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد ... وتتأمل وجوه الاشخاص الخمسة المجتمعين فى الغرفة ، كما سبق ان اجتمعوا مع ابيها وامها ، منذ ستة عشر عاما

كانت تتأمل وجوههم وهى تظلل عينيها بيدها ، وكانت تتساءل: هل يمكن ان يكون احدهم هو القاتل : الزا المستهترة ، أم فيليب الغاضب ، أم ميرديث الهادىء ، ام مس ويليامز الحازمة ، أم انجيلا الثابتة الرزينة ؟

هل تستطيع هى ، مهما حاولت ، ان تهتدى الى القاتل الحقيقى بين هؤلاء الاشخاص الخمسة الذى شهدوا المأساة ؟

هذا طبعا اذا لم تكن امها هي المذنبة !

لا ، ليس هذا ممكنا بعد أن رأت هؤلاء الاشخاص رأى العين

من المحتمل أن يقتل فيليب شخصا في ساعة غضب ، أن يخنقه بيديه

ومن المحتمل أن يهدد ميرديث لصا يقتحم بيته ، بمسدس فارغ من الرصاص ، أو من المحتمل أن يطلقه عليه ، رغما عنه

ومن المحتمل أن تطلق انجيلا مسدسها فعلا في حالة الدفاع عن النفس ، دون تردد أو خوف

ومن المحتمل أن تجلس الزا على هودج شرقي ، ثم تطلب من العبيد أن يلقوا بأحد المذنبين الى البحر ، بعد أن يقيدوا يديه وقدميه

أما مس ويليامز ، فانك اذا سألتها : « هل قتلت شخصا ما يامس ويليامز ؟ » فانها على الارجح ستجيب عليك قائلة : « التفت لدروسك ، وحاول أن تحل مسألة الحساب حلا صحيحا ، وحذار أن تسأل مرة أخرى مثل هذه الاسئلة الشريرة »

وقالت كارلا لنفسها :

« يبدو انني مخطئة أشد الخطأ ، يبدو انى واهمة .. يجب أن اطلب من هذا الرجل بوارو أن يتوقف عن الحديث في هذا الموضوع، فليس من المعقول أن يكون بين هؤلاء مجرم رهيب »

ولكن بوارو كان قد بدأ الحديث في صميم الموضوع ، وكان يقول :

ـ هذه هي المهمة التي كلفت بها ، أن أعد أدراجي عبر السنين، لاكتشف حقيقة ما حدث و ...

وقال فيليب بليك :

ـ ولكننا ، هنا ، نعرف جميعا حقيقة ما حدث ، واذا حاول أحدنا أن يزعم غير هذا فهو مخطىء .. نعم ، انك تأخذ مالا من هذه الفتاة بغير مقابل ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، انه نوع من الاحتيال والتغرير

وأبى بوارو أن يغضب ، ومن ثم قال :

ـ انك تقول انكم جميعا تعرفون حقيقة ما حدث ، والواقع انك تلقي بهذا القول في غير تفكير ، فليس من الضروري أن يكون كل ما قيل

من حقائق المأساة صادقا تماما ، والدليل على هذا ، يا مستر بليك ، انك ذكرت فى تقريرك بوضوح انك تكره كارولين ، وتحقد عليها ... فهل انت صادق فى هذا القول ؟ ان اى مبتدىء فى علم النفس يعرف ان الحقيقة هى العكس ، وان حقدك عليها نابع من رغبتك فيها ... من حبك المادى لها . لقد كنت دائما مفتونا بها ، خاضعا لجاذبيتها ، وكنت ثائرا على هذا الافتتان وهذا الخضوع،وكثيرا ما بذلت الجهد لمقاومة هذه الرغبة العارمة نحوها . وبسبب هذه الرغبة فى المقاومة ، ظللت توحى لنفسك بأنها امرأة شريرة ، خبيثة ، كثيرة العيوب ، متعددة الاخطاء ، جديرة بكراهيتك ، لا بحبك . وكذلك كان الامر مع اخيك ميرديث ، ولكن بطريقة مختلفة : كان ميرديث متفانيا فى حب كارولين ، وقد حاول فى تقريره ان يعبر عن هذا الحب بطريق غير مباشر .. اى عن طريق التنديد بأخطاء امياس كريل وسوء تصرفاته معها ، وقسوته عليها .. ولكن ، اذا نحن امعنا النظر فى تقريره ، لادركنا من بين السطور ، ان حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ، ليحل محله حب آخر : حب الفتاة الصغيرة الجميلة الزا ، كان الواضح من تقريره ان الزا هى التى كانت تملأ عليه فكره وقلبه

وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ...

وابتسمت الزا ديتشام ...

واستطرد بوارو يقول :

ــ اننى اذكر هذه الحقائق على سبيل المثال ، وان كانت لها دلالاتها عن المأساة ذاتها ... حسنا ، لقد رحلت عبر السنين الى احداث هذه المأساة منذ ان كلفتنى مس كارلا بهذه المهمة ، تحدثت مع مفتش البوليس الذى تولى التحقيق ، وتحدثت مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، واستلمت تقاريرهم المكتوبة ، اعنى تحدثت اليكم واستلمت تقاريركم . وقد استطعت من هذا كله ان ارسم صورة واضحة لكارولين ، قبل المأساة ، وبعدها .. وفهمت من هذه الصورة ، ان كارولين ، بعد وقوع المأساة كانت مستعدة للموت ، مرحبة به ، رغم تكرار القول بأنها بريئة . ولكنها كانت فى رأى الجميع ، غير بريئة !

فقال فيليب :

ــ نعم ... هذه هي الحقيقة ، ان جميع القرائن الحاسمة تدل على ادانتها

فهز بوارو كتفيه وقال :

ــ ولكنني ، شخصيا ، لست ملزما بقبول قرارات الغير في هذا الشان . كان واجبي يحتم على فحص هذه القرائن والادلة بنفسي . كان على ان اختبر هذه الحقائق وافحصها لارضى ضميري ، ولهذا السبب قمت بتحرياتي مع مفتش البوليس الذى تولى تحقيق الجريمة ، ومع الاشخاص الخمسة : معكم انتم ، يا من كنتم موجودين اثناء وقوع المأساة . وقد كتبتم مشكورين تقاريركم عنها ، واستطيع ان اقول انى عثرت في هذه التقارير على ما كنت ابحث عنه ، كنت ابحث من تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لفرط بساطتها ، ورغم اهميتها ، وهذه التفاصيل البسيطة الهامة هي : اولا : احاديث معينة ، وتصرفات خاصة اهملها رجال البوليس على انها غير ذات اهمية ، وثانيا : آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها ، وانا اعترف ان المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية ، ثالثا : حقائق معينة اخفيت عمدا عن رجال البوليس

وصمت بوارو برهة ، قبل ان يستطرد قائلا :

ــ ولكني الآن في وضع يتيح لي الحكم في الموضوع بنفسي .. وانا لا انكر انه كان هناك الدافع القوى الذى يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها ، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا ، واعترف هو امامها بصراحة انه سيهجرها من اجل امراة اخرى ، واعترفت هي انها زوجة شديدة الغيرة

واذا انتقلنا من دوافع الجريمة الى الوسائل ، وجدنا انه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوى على سم الكونين في درج خزانة ملابسها ، وانه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات اصابع احد غير بصماتها هي ، ولما سئلت عنها اثناء التحقيق ، اعترفت انها اخذت سم الكونين من هذه الغرفة التى نجلس فيها الآن ... وزجاجة الكونين التى كانت هنا ، كانت عليها ايضا بصمات اصابعها ، اى انها صادقة في هذا الاعتراف . ولما سالت المستر ميرديث عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك ، قال ان كارولين كانت آخر من غادرها ، واهم من هذا

انه كان هو موليا ظهره اليها ، مشغولا بالحديث مع مس الزا جرير ، اى انه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل كارولين فى الغرفة قبل خروجها ، معنى هذا ان الفرصة كانت سانحة لها لكى تختلس كمية الكونين ، وانا ، من هذه الناحية ، مطمئن تماما انها ، فعلا ، اخذت كمية من السم . . . من هذه الغرفة . . .

ومرة اخرى صمت بوارو ، فقال فيليب :

ـ اليس هذا الدليل وحده يكفى على ادانتها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ مهلا يا مستر بليك ، لسوف نتابع الموضوع خطوة خطوة حسب ما ورد فى تقاريركم أنتم . . . اننى لن اقحم معلومات جديدة ليس لها اساس فى هذه التقريرات . . .

ثم نظر الى ميرديث وقال :

ـ من الطريف فى هذا الموضوع ، أو فى هذه النقطة بالذات ، ان المستر ميرديث ذكر لى اثناء حديثه عنها ، انه كان يشم رائحة الياسمين تنساب من اشجار الياسمين النامية وراء النافذة ، وقد نسى ان الحادث وقع فى شهر سبتمبر ، اى فى شهر لا يمكن أن تتفتح فيه ازهار الياسمين ، ولكن الياسمين الذى شم رائحته فى ذلك الحين ، هو العطر الذى سكبته كارولين من زجاجة حقيبتها لتضع فيها كمية من سم الكونين ، واذا دل هذا على شىء ، فانما يدل على ان كارولين قررت فجاة ، وبعد سماعها عن مفعول الكونين الذى يميت بغير آلام ، ان تختلس كمية منه ، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض . وقد قمت أمس بتجربة بسيطة فى هذا الشان مع مستر ميرديث ، فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات ، ثم لوحت امامه بمنديل معطر بالياسمين ، فتتابعت الذكريات فى ذهنه ، وكلنا يعرف اثر الروائح فى بعث الذكريات من مرقدها

وعندئذ قال فيليب فى شىء من الضيق والضجر .

ـ ما معنى كل هذه الادلة التى تسوقها لتثبت ان كارولين اختلست من هذه الغرفة كمية من السم . . . اما يكفى اعترافها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ بعض المتهمين يدلون ، لاسباب خاصة ، باعترافات غير صحيحة !

ـ حسنا ، ولكن جميع الادلة ، مع اعتراف كارولين ، قد اثبتت انها هى ، لا أحد آخر ، التى اختلست كمية السم .. فلماذا كل هذا الاستطراد ؟

ومرة اخرى أبى بوارو أن يغضب ، ثم قال :

ـ أردت من هذا الاستطراد ان اثبت بالدليل القاطع ان كارولين هى فعلا وقولا التى اختلست السم

فقال فيليب فى صوت ينم عن السخرية :

ـ وبالتالى لتثبت ، قولا وفعلا ، انها هى التى ارتكبت الجريمة ، واعتقد ان رجال البوليس كانوا اسبق منك فى هذا الشأن

ـ مهلا يامستر فيليب بليك، لسوف انتقل الى نقطة اخرى لا يستطيع احد ان يمارى فيها ، فقد اجتمعت اقوال الشهود على ان الزا جرير صارحت كارولين بعزمها على الزواج من امياس ، وان امياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة ، وان كارولين كانت فى حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف . حسنا ... كل هذا مفروغ منه . لننتقل الآن الى الاحداث التى وقعت فى صباح يوم المأساة . فى هذا الصباح وقعت مشادة او مشاجرة او شىء من هذا القبيل بين امياس وزوجته فى غرفة المكتبة .. وقد سمعها مستر فيليب بليك ، وهو يمر بالصالة ، وكذلك سمعتها الزا جرير ، وهى جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة ، تقول بصريح العبارة لزوجها : «هكذا انتم مع نسائك . لسوف اقتلك فى يوم ما » . وقد ذكرت الزا جرير انها سمعت امياس وهو يطلب من زوجته أن تتعقل وتتزن ولا تتهور فى تصرفاتها ، فاجابت كارولين عليه بانها تفضل ان تراه ميتا على ان يتزوج من هذه « الفتاة » . ثم غادر أمياس غرفة المكتبة وطلب من الزا جرير ان تمضى معه الى حديقة البحر ، لكى تجلس معه فى الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة ، فطلبت منه ان ينتظر قليلا ريثما تأتى بصديريتها الصوفية لتحتمى بها من برودة هواء البحر

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول مستطردا :

ـ الى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية فى المأساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحى السيكولوجية ... فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه . ولكننا سننتقل الآن الى مرحلة بدت

فيها بعض التصرفات غير منطقية ، وغير منتظرة ، ومع ذلك لم يحاول أحد ، يومذاك ، أن يسأل عن السبب

وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البساطة واللين ، الى الجد والحزم وهو يقول :

ــ اكتشف ميرديث بليك سرقة ــ او ضياع ــ كمية من سم الكونين من معمله في الصباح ، فاتصل تليفونيا بأخيه فيليب الذى كان ينزل ضيفا على امياس وكارولين ، وطلب منه فيليب أن يسرع بالحضور الى قصر آلدربرى ليتبادل معه الحديث في هذا الامر .. وذهب هو ، اى فيليب لاستقبال اخيه عند ضفة الخليج ، وفيما هما عائدان الى القصر في الممر ، سمعا كارولين تتناقش مع زوجها امياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة . فما رأيكم في هذا التصرف ؟ هل هو يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية ؟ هل هو تصرف منطقى معقول ؟ الم يخطر ببال أحد أن يتساءل كيف يتناقش زوجان في موضوع بسيط يخص الحاق انجيلا بالمدرسة ، بعد هذه المشاجرة العنيفة التى سمعت فيها الزوجة وهي تهدد زوجها بالموت ؟ أيمكن أن يحدث هذا ؟ ايمكن ان تتشاجر زوجة مع زوجها الى حد تهديده بالموت ، ثم تذهب اليه بعد عشرين دقيقة لكى تتناقش معه في موضوع الحاق أختها بالمدرسة ؟



والتفت بوراو الى ميرديث وقال له :

ــ لقد ذكرت في تقريرك انك سمعت أمياس كريل يقول لزوجته :

« لقد انتهى كل شيء ، ولسوف ترحل » أليس كذلك ؟

فقال ميرديث فورا :

ــ نعم ... سمعت هذه العبارة بوضوح

وقال فيليب مؤكدا :

ــ نعم ... اذكر انى سمعت شيئا من هذا القبيل ، ونحن نقترب من باب حديقة البحر

فقال له بوارو :

ـ هل انت متأكد تماما انك سمعت هذه العبارة او ما معناها

فقطب فيليب جبينه وقال :

ـ نعم . . . طبعا ، سمعت شيئا عن حزم الحقائب والرحيل

ـ وكان المتحدث امياس كريل ، وليست كارولين ؟

ـ بكل تأكيد . . . واذكر أن كارولين قالت له انه شديد القسوة على الفتاة ، لماذا تلح في هذه الاسئلة . . فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق بترحيل انجيلا الى المدرسة

وقال ميرديث :

ـ نعم ، فان كارولين حين رأتنا ابتسمت ، وقالت انها كانت تتحدث مع زوجها بخصوص الحاق انجيلا بالمدرسة ، واصراره على ترحيلها في اقرب فرصة . .

وقال فيليب :

ـ ولكن ، ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ ان لها اكبر علاقة ، انها الخيط الاول من الضوء الذى هدانى الى الحقيقة . . وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءا ، وذلك ان كارولين ، المخذولة ، المهجورة ، الكسيرة الجناح التى تفكر فى الانتحار ، او تدبر مقتل زوجها ، والتى هددته علانية بالموت ، كارولين هذه ، تعد زوجها فى هدوء ورضاء بأن تأتى اليه بزجاجة بيرة مثلوجة بعد ان اعرب عن اشمئزازه من البيرة الساخنة الموجودة فى الحديقة فهل مثل هذا التصرف ايضا يطابق قوانين علم النفس البدهية ؟

فقال فيليب بليك :

ـ نعم . . . انه تصرف معقول ما دامت تدبر مقتل زوجها ، فقد كانت فرصتها السانحة لتدس له السم فى الشراب

فقال بوارو :

ـ اتعتقد هذا ؛ اذا كانت قررت فعلا دس السم لزوجها ، واذا

كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة في الحديقة ؟ فلماذا لم تضع هذا السم في زجاجة او اثنتين من هذه الزجاجات التي ثبت انها لم تكن تزيد عن ثلاث ؟ وكان هذا في مقدورها دون أن يراها أحد ؟

فهز فيليب راسه وقال :

ـ لا . . لم يكن في مقدورها ان تفعل هذا خشية أن يشرب شخص آخر من الزجاجة المسممة

فابتسم بوارو وقال :

ـ شخص آخر ؟ مثل الزا جرير مثلا ؟ اتريد ان تقول لي أن المرأة التي قررت قتل زوجها ، سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ ؟

وصمت بوارو برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ـ ولكن . . . دعونا من هـذه الاحتمـالات ولنركز اهتمامنـا بالحقائق ، لقد قالت كارولين انها ستبعث الى زوجها بزجاجة بيرة مثلوجة ، ثم صعدت الى القصر ، وتناولت من الثلاجة زجاجة بيرة ، وعادت بها اليه ، وصبت منها في الكاس التي كانت موضوعة بجانبه ، وشرب هو الكاس في جرعة واحدة ، وبدا عليه التأفف وقال : « كل شيء في فمي اليوم مر . . . » ثم عادت كارولين الى القصر بعد ذلك ، وحل موعد طعام الغداء ، وجلست هي مع الضيوف كالمعتاد لتناول الطعام ، وقد اجتمعت الآراء على انها كانت ثابتة لايبدو عليها غير شيء يسير جدا من القلق ، ولكن هذا لا يهم ، فهناك قاتلات ثابتات الاعصاب يقتلن القتيل ويمشين في جنازته ، وهناك قاتلات متوترات الاعصاب ، تنم تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن . ولهذا السبب فلن اهتم كثيرا بهذه النقطة . وبعد الغداء ، ذهبت كارولين لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شيء . وهناك وجدته ميتا . . . ونستطيع ان نقول انها اضطربت ، وانها ارسلت مس ويليامز لاستدعاءالطبيب ، وهنا سننتقل الى حقيقة لم يسبق أن عرفها احد منكم غير مس ويليامز . . .

ثم التفت الى مس ويليامز ، فلما اومات له براسها ، قال :

ـ والتقت مس ويليامز،وهي في طريقها الى التليفون ، بمستر

ميرديث ، فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعادت مسرعة الى كارولين لتبقى بجانبها . فماذا تظنون انها رات ؟



وخيم الصمت الرهيب على غرفة المعمل المهجور ، بينما استطرد بوارو يقول :

ــ رات كارولين وهى تزيل بمنديلها آثار بصمات اصابعهـا من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات اصابع زوجها

وشحب وجه كارلا ، واتسعت عينا انجيلا وارين ، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ، وقال فيليب :

ــ الم اقل . . .

ولكن الزا جرير ، او الليدى ديتشام تململت فى مقعدها ، ونظرت الى مس ويليامز فى دهشة بالغة وقالت :

ــ ارايتها حقا . . . تفعل هذا ؟

فقالت مس ويليامز فى صوت ينم عن الاحتقار :

ــ اننى لم اتعود الكذب فى التفاهات ، فكيف اكذب فى الخطير من الامور ؟

ووثب فيليب قائلا :

ــ ان هذا يضع حدا للأمر كله ، فلا داعى للمزيد من الحديث ،

واعتقد يا مسيو بوارو انك لم تفعل اكثر من ان اكدت ادانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالا . . .

فنظر بوارو اليه فى هدوء وقال :

ــ من قال هذا ؟

وقالت انجيلا فى صوت حاد :

ــ اننى لا اصدق هذا . . . ابدا !

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه فى اضطراب ، وظلت مس ويليامز هادئة فى مكانها تقول بثبات :

ـ هذا ما رأيته بعيني ، واقسم على ذلك امام الله

وقال بوارو بهدوء :

ـ ليس لدينا طبعا اى دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة مس ويليامز

فنظرت مس ويليامز اليه بثبات وقالت :

ـ نعم . . . ولكنى لم اعتد أن توضع كلمتى موضع الشك

فأومأ بوارو لها براسه وقال :

ـ وأنا يامس ويليامز لا اشك فيما تقولين ، لقد رايت فعلا ماحدث، ولهذا السبب بالذات ، اى ما قامت به كارولين من ازالة بصمات اصابعها عن زجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها ، قررت عن يقين وتاكيد بانها لم ترتكب هذه الجريمة ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن تكون هى المذنبة

ولأول مرة ، قال الشاب الطويل جون راتيرى ، خطيب كارلا ، فى صوت هادىء :

ـ يهمنى أن أعرف يا مسيو بوارو لماذا تقول هذا ؟

فالتفت بوارو اليه وقال باسما :

ـ سوف اخبرك ، ماذا رات مس ويليامز ؟ رات كارولين تزيل فى لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات ، آثاربصمات اصابعها هى طبعا ، وآثار اية بصمات أخرى ايضا ، ثم تطبع عليها بصمات اصابع زوجها الميت . . وارجو ان تستوعبوا هذه الحقيقة الهامة جدا ، وهى انها فعلت هذا بزجاجة البيرة ، اليس كذلك يامس ويليامز ؟

فأومأت مس ويليامز براسها قائلة :

ـ نعم . . . بزجاجة البيرة

فابتسم بوارو ابتسامة المنتصر وقال :

ـ هذا مع العلم بأن التحليل الطبى اثبت بصفة قاطعة ان سم الكونين لم يكن موجودا بزجاجة البيرة ، وانما وجدت آثاره فى الكاس الموضوعة بجانبها ، التى كان امياس يشرب منها . . فما معنى هذا ؟ معناه الواضح أن كارولين لم تكن تعرف الحقيقة ، وانما ظنت فقط

أن الكونين كان موضوعا فى زجاجة البيرة ، فهل يستطيع عاقل بعد هذا ان يصدق انها قاتلة زوجها ، رغم انها لم تكن تعرف أين دس السم فى شرابه ؟

فقال فيليب بليك دهشا :

ـ ولكن . . . لماذا حاولت أن . . .

فقاطعه بوارو بحدة :

ـ نعم . . . لماذا ؟ لماذا ازالت بصمات اصابعها واصابع غيرها من الزجاجة ، وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها . . . نعم لماذا ؟ من حق كل انسان أن يسأل،ومن واجبى انا،انا الباحث عن الحقيقة ، ان اجيب اجابة مقنعة ، لاسبيل الى الشك فيها ، وهذه الاجابة هى : انها كانت تعرف من الذى قتل زوجها ، وانها على استعداد لان تفعل أى شىء ، وان تحتمل اى شىء ، حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص

وصمت بوارو برهة قبل أن يردف قائلا وهو يشيح بوجهه عن انجيلا وارين :

ـ ومن السهل علينا ان نعرف من هى الشخصية التى كانت كارولين على استعداد لاحتمال اى شىء من اجلها ، فهل يمكن أن تكون هذه الشخصية الغالية : فيليب بليك أو ميرديث ، أو مس ويليامز ، او الزا جرير ؟ لا . . . لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء اغلى على كارولين من حياتها . . . اذن فمن تكون ؟

وصمت بوارو برهة قبل أن يوجه الحديث الى انجيلا وارين قائلا :

ـ مس وارين ! اذا كنت قد احضرت معك الخطاب الذى ارسلته اليك أختك بعد صدور الحكم ، فارجو أن تسمحى لى بقراءته هنا

فقالت انجيلا بحدة :

ـ لا . . .

ـ ولكن . . . يا مس وارين ان الامر

فوثبت انجيلا قائلة :

ـ اننى أفهم تماما ماذا تعنى ، انك تريد أن تقول اننى انا قاتلة امياس كريل ، اليس كذلك ، انا قاتلة امياس ؟ وقد حاولت اختى أن تحمينى وتتستر على . ولكننى انكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة

ـ الخطاب يا مس وارين

ـــ ان هذا الخطاب من شئونى الخاصة ، لقد أرسل لى ، لا لاحد غيرى

ونظر بوارو الى كارلا وخطيبها الواقفين معا فى شىء من الاضطراب ، وعندئذ قالت كارلا فى رجاء :

ـــ أرجو منك يا خالتى انجيلا ، أرجو منك ، لماذا لاتسمحين بقراءة الخطاب ؟

فقالت انجيلا :

ـــ عجبا يا كارلا ؟ كيف تقبلين هذا ؟ انها أمك . . . ولا يجوز . . .

فانساب صوت كارلا واضحا رنانا فى الغرفة :

ـــ نعم ، انها أمى ، ولهذا السبب أطلب منك ان يقرأ خطابها هنا ، فان هذا من حقى

فهزت انجيلا كتفيها ، وفى بطء شديد أخرجت من حقيبة يدها الخطاب وسلمته الى بوارو الذى قرأه بصوت مسموع للجميع ، واحست كارلا فجأة بأن شخصا ما دخل الغرفة ، كان ظلالا تجمعت، وتجسدت . . وأن هذه الظلال المجسدة تنصت معها فى لهفة الى كلمات الخطاب ، وهتفت كارلا لنفسها لاهثة الانفاس : « انها هنا . . امى كارولين كريل معنا فى هذه الغرفة ! »

وتوقف بوارو عن القراءة بعد ان فرغ من تلاوة الخطاب ، ثم قال :

ـــ انه خطاب مدهش ، اليس كذلك ؟ خطاب عجيب ، رائع . . ولكن الذى يلفت النظر فيه هو انه خال تماما من اى ادعاء ببراءتها

فقالت انجيلا :

ـــ لا داعى لان تؤكد لى براءتها ، لانى أعرف انها بريئة ، وهى ايضا تعرف هذه الحقيقة البدهية ، فلماذا تؤكدها لى ؟

ـــ نعم يا مس وارين ، كانت كارولين تعرف تماما انها بريئة، وانك واثقة من براءتها ، بل انك اكثر الناس ثقة بهذه البراءة ، لقد كان همها فقط فى هذا الخطاب هو ان تواسيك وتهدىء من اعصابك، وتؤكد لك انها ليست آسفة او نادمة او حزينة ، وان عليـــك ان تنسى كل شىء ، وتعيشى حياتك فى سعادة ونجاح

ــ من البدهي أن ترجو اخت لاختها كل سعادة ونجاح في الحياة

ــ نعم ، ولكن لا تنسى انها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها ، ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجها اليك أنت دون طفلتها ، انهـا لم تفكر في طفلتها الا اخيرا ، وهي على فراش الموت ولم تكتب لها شيئا اكثر من انها بريئة ، اما من ناحيتك انت ، فقد كانت في اشد حالات القلق ، كانت تريد ان تؤكد لك انها ليست آسفة ، وانهـا ستحتمل العبء راضية « لان على الانسان ان يدفع ثمن ما جنت يداه » كما ذكرت في نص خطابها ، ان هذه العبارة توضح كل شيء انها تبين مدى الآلام النفسية التي تحملتها منذ أن اصابت اختها في ساعة غضب وغيرة اصابة سببت لها عاهة مستديمة ، ولكن هاهي ذي الاقدار قد اتاحت لها الفرصة لدفع الثمن . ولكي تخفف عن نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير ، وانا استطيع أن أؤكـد ان كارولين ، بعد أن دفعت هذا الثمن ، احست بسـكينة النفس ، وهدوء البال، وراحة الضمير، بل احست بلون من السعادة الروحية لم يسبق لها مثيل في حياتها . لقد كانت تعتقد انها دفعت ثمن الذنب الذي ارتكبته في حق اختها . ولهذا احتملت اجراءات المحاكمة في صبر واستسلام ورضاء . كان الناس يظنون انه استسلام المجرم لمصيره ، وانا اقول ، كما سابين لكم ، انه استسلام الانسان لراحة الضمير

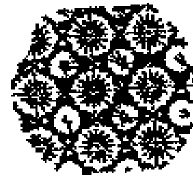


وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ــ والآن سأذكر لكم تسلسل الاحداث وانطباقها على الحقـائق ، واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادىء البدهية لعلم النفس .. فنبدأ أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق على المأساة .. تلك هي حادثة المشاجرة الصبيانية التي وقعت بين انجيلا وامياس بشأن الالتحاق بالمدرسة . لقد القت انجيلا على اميـاس بثقالة ورق ، ودعت عليه دعوات سيئة ، ثم انطلقت باكية الى غرفتها ، لقد اعاد هذا المنظر ، منظر القاء ثقالة الورق على اميـاس ، الى ذهن كارولين ذكريات الحادث الذي اصابت فيه اختها بثقالة ورق ، اصابة كادت أن تكون قاتلة ، وقد صاحت انجيلا في أمياس ، انهـا تتمنى لو تراه ميتا ، وفي ضحى اليوم التالي ، ذهبت كارولين الى

ثلاجة القصر لتاخذ منها زجاجة مثلوجة لزوجها ، وهناك وجدت انجيلا واقفة وفي يدها زجاجة ، وعلي وجهها « امارات من ارتكبت ذنبا » ، وهذا هو التعبير الذى ذكرته مس ويليامز فى تقريرها ، وكانت مس ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور انجيلا بخطئها فى الهرب منها طوال فترة الصباح ، ولكن كارولين تذكرت فيما بعد « امارات الشعور بالذنب » هذه ، وفهمت منها شيئا آخر ... نعم، لا تنسوا أن انجيلا اعتادت أن تداعب امياس وتضع فى شرابه اشياء مرة المذاق .. وهكذا اخذت كارولين زجاجة البيرة المثلوجة ،ومضت بها الى زوجها فى حديقة البحر ، وسكبت منها فى الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه ، وشرب هو الكأس فى جرعة واحدة ، وتأفف من مذاقها قائلا ان كل شيء فى فمه مر هذا اليوم ، ولكن كارولين لم تشك فى شيء عندئذ .. ولكنها ، بعد ان اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء ، شكت فى الامر ، بل ايقنت انه مات مسمما ، ولكنها هى لم ترتكب الجريمة ، فمن اذن الذى ارتكبها ؟ وتذكرت كل شيء فى لحظة .. تذكرت رغبة انجيلا فى رؤية امياس ميتا ، تذكرت « امارات الشعور بالذنب » على وجهها وهى واقفة بجانب الثلاجة تعبث بالزجاجات ، ولكن ، لماذا فعلت الصبية هذا ؟ لاشك انها لم تكن تقصد ان تقتله ، لعلها ارادت فقط أن تغيظه ، أن تجعله يمرض .. أو انها قتلته فعلا من اجلها هى .. من اجل كارولين ؟ مهما يكن السبب ، فقد كادت هى ، وهى فى مثل هذه المرحلة من العمر ، أن تقتل اختها ، فلماذا لا تفعل انجيلا هذا ايضا ؟ حسنا ، يجب اذن أن تحمى انجيلا بأى ثمن ، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التى دست فيها السم ، فيجب اذن أن تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات .. انها لم تكن تزيل بصماتها هى ، وانما بصمات انجيلا ايضا ، وهو المهم ... ثم ماذا ايضا ؟ يجب أن تجعل كل انسان يعتقد أن أمياس مات منتحرا . وانها لم تفكر فى تلك اللحظة ان الناس من الناحية النفسية ، لن يصدقوا انتحار امياس ، ان كل همها كان مركزا فى انقاذ انجيلا بأى ثمن ، وهكذا طبعت بصمات اصابع زوجها على الزجاجة ، وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر ،

وهي ترهف السمع هنا وهناك . واذا نحن نظرنا الى الموضــوع من هذه الزاوية ، ادركنا ان كل شيء بعد ذلك يتفق معه ... ادركنا سر استسلام كارولين اثناء المحاكمة مع الاصرار على براءتها ، وسر قلقها الشديد على انجيلا ، وسر رغبتها في ابعادها فورا عن مسرح المأساة الى الريف ، ثم سر اصرارها على ابعادها خارج البلاد خوفا من أن تنهار اعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء



الفصل السادس عشر

الحقيقة العجيبة

واستدارت انجيلا وارين نحو الجميع ، ثم قالت بصوت حاد وعينين متألقتين بالغضب :

ـ انكم جميعا اغبياء حمقى ، الا تعرفون أني لو كنت المذنبة ، لاعترفت بالحقيقة ولما تركت أختى الحبيبة تتحمل الوزر عنى !

فقال بوارو :

ـ ولكنك عبثت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة التى حملتها كارولين الى امياس !

ـ أنا ؟ ربما ... فانى لا اذكر تماما ، ولكن لا ... لقد تذكرت الآن فقط ... عجبا لقد عبثت بمحتويات احدى الزجاجات حقا ، ولكنى لم أضع فيها سما ، وانما هذه المادة التى سبق ان وضعتها فى شراب امياس اكثر من مرة ، انها مادة لا تضر ، واذكر انها تسمى « مصيدة القطط » لان رائحتها تجذب القطط ، واذكر الآن حقا انى ذهبت فى الصباح الى منزل مستر ميرديث وتسللت الى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة

فقال ميرديث :

ـ آه ... عندما شعرت كأن قطة تدخل هذه الغرفة ... صباحا !

فقال بوارو :

ـ ان الذى جعلك تشعر بوجود قطة بالذات ، هو تشممك لرائحة هذه المادة ، ما اسمها ؟

ـ فاليريان ...

ـ نعم ، ان لك حاسة شم قوية ، وقد أوحت لك هذه الرائحة

بأن احدى القطط هي التي تسللت من فتحة النافذة ، وهى فتحة ولا شك كانت كافية لدخول طفلة منها ...

فقالت انجيلا :

ـ نعم ... اذكر انى دخلت من فتحة النافذة بعد أن رفعت المصراع قليلا ، وعدت الى القصر من طريق آخر . وهذا يفسر « امارات الشعور بالذنب » التى رأتها مس ويليامز واختى كارولين على وجهي بعد أن أغلقت زجاجة البيرة

وتوقفت انجيلا برهة ثم قالت :

ـ ولكننى تذكرت الآن شيئا آخر ، شـيئا هاما جدا ، تذكرت اننى لم أجد الفرصة الكافية لأضع المادة فى الزجاجة فى ذلك اليوم ، لاننى ماكدت احملها من الثلاجة لاعبث بها حتى أقبلت مس ويليامز واختى كارولين ، نعم ، اقسم انى لم اعبث فى ذلك اليوم بمحتويات اية زجاجة !

ثم أردفت بصوت هادىء وهى تنتقل بنظراتها من وجه الى آخر :

ـ اننى لم أقتل امياس كريل ، لا عمدا ، ولا نتيجة مداعبة ثقيلة ... ولو أنى فعلت هذا لاعترفت بكل شيء

وقالت مس ويليامز :

ـ طبعا ياعزيزتى ، لن يتهمك بقتل امياس الا كل احمق غبى

ثم نظرت الى بوارو فى تحد وغضب

وابتسم بوارو وقال :

ـ اننى لست غبيا ، ولا أحمق ، ولهذا لا اتهم انجيلا بارتكاب هذه الجريمة ، لانى اعرف عن يقين من قتل امياس كريل !...

ثم صمت برهة واردف قائلا :

ـ من الخطر دائما أن نقبل بعض التصرفات على انها حقائق ثابتة غير قابلة للشك ، بينما هى فى الواقع ابعد ما تكون عن الحقيقة ، ولنأخذ ـ مثلا ـ الموقف فى قصر آلدربرى ... انه موقف الصراع الخالد بين امرأتين من اجل رجل واحد ... ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة هذه الحقيقة ، حقيقة عزم امياس كريل على هجر زوجته والزواج من الزا جرير ، وتلك احدى الحقائق الخادعة التى ليس فيها من الحقيقة الا اسمها . ولهذا اقول ان امياس لم يكن عازما ، ابدا ، على هجر زوجته أو الانفصال عنها

وصمت بوارو برهة ، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع ، قبل ان يستطرد قائلا :

ـ كان أمياس يجرى وراء النساء ، ويظل مفتونا بالواحدة منهن طالما كانت نزوة الحب العابرة تربط بينهما ، فاذا خمدت هذه النزوة ، نسى كل شيء عن صاحبته هذه ، ليبحث عن غيرها ، وهكذا . . وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات ، النساء اللائى يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التى تجيش فى صدر هذا الفنان . ولهذا لم تكن احداهن تنتظر منه الكثير . . كل واحدة منهن كانت تعرف ان علاقته بها مجرد نزوة طارئة ، لن تلبث حتى تزول ، ولكن الزا كانت تختلف . . . لم تكن امرأة . . . وانما كانت اقرب الى طفلة ، كانت فتاة قليلة التجربة ، عديمة الخبرة أو تكاد . وكما شهد الجميع ، كانت مخلصة فى حبها لامياس ، مفتونة به ، متفانية فيه ، واثقة منه . انها قد تكون فى نظر الجميع ، جريئة ، مستهترة فى بعض تصرفاتها ، صريحة أكثر مما ينبغى ، لايهمها أحد، ولا تهتم بغير رغباتها . قد تكون هذه كلها بعض صفاتها ، ولكن المؤكد انها احبت امياس حبا عجيبا : حب الانثى لاول رجل ، حب الفتاة لفتى الاحلام . وكانت تعتقد بل توقن ، لفرط استغراقها فى الحب ، انه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها ، كانت تؤمن ايمانا عميقا ان هذا الحب ، هو حب الحياة ، وحب العمر كله . . . كانت واثقة انه ، دون أن تطلب منه ، سيهجر زوجته من اجلها

ومرة اخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف حديثه قائلا :

ـ ولكن ، قد يتساءل أحدكم : لماذا تركها امياس تعيش فى هذا الوهم الكبير ؟ لماذا لم يحاول ان يصارحها بالحقيقة ؟ الاجابة على هذا ، هى : الصورة ! انهذه الاجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذة ، غير معقولة . . ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين ، ان الفنان الاصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء ، وهكذا كان الحال مع امياس . كانت اللوحة فى نظره هى كل شيء . ونحن نستطيع ان نفهم الآن معنى حديث امياس كريل مع مستر ميرديث بليك عندما ربت كتفه وقال له ضاحكا : « اطمئن ياصديقى ان كل شيء سينتهى على خير . . » . أرأيتم ؟ كان كل شيء فى نظر امياس بسيطا ، سهلا، ينتهى بالخير . . انه مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات

التى رسمها فى حياته ، وأنه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن اتمـام هذه اللوحة ، اللوحة التى يعتبرها اعظم شيء فى حياته

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى بوارو ، وهـو يستطرد قائلا :

— لو أن امياس صارح الزا بحقيقة مشاعره نحوها ، اعنى لو انه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء ، يعيش مع الواحـدة منهن اسبوعا أو بضعة اسابيع ثم يهجرها ، اذن لثارت عليه ، وابت أن تجعله يتم الصورة .. اللوحة .. العمل الفنى الذى كان يراه اهم شيء فى حياته يومئذاك . ومن المحتمل جدا انه ، فى غمرة حماس حبه لها فى اول الامر ، قد حدثها عن الزواج ، وعن هجره لزوجته . وليس هو أول عاشق يخدع حبيبته ، الفتاة ، بالحـديث عن الزواج أو لعله ترك الزا تعتقد فى قرارة نفسها انه يحبها هذا الحب الذى يجعله فى النهاية يضحى بزوجته وابنته من اجلها . فماذا يهمه ؟ لتعتقد مايشاء لها الحب أن تعتقد ، ولتظن مايريد لها الهوى من الظنون ، انه لن يحفل بما تعتقد ، وبما تظن .. وانما هو يحفل بشيء واحد فقط ، الا وهو اتمام اللوحة بأى ثمن . وكان يعزى نفسـه فى غمرة هذه المحنة ، بأن الامر كله لن يحتاج الى اكثر من يومين أو ثلاثة ، ثم ينتهى كل شيء ، على خير ، كما قال ميرديث .. نعم ، ينتهى كلّ شيء ، فى رأيه ، على خير ، حين يصارح الزا بحقيقـة مشاعره . حين يقول لها ان كل شيء بينهما قد انتهى . حين يؤكد لها بأنه لا يستطيع أن يهجر زوجته وابنته . وكلنا نعرف انه ،رحمه الله ، كان رجلا مستهترا بعواطف النساء ، ولكن ينبغى الا ننسى انه حذر الزا ، فى أول علاقته بها من نفسه ، لقد صارحها بحقيقته وذكر لها أى رجل هو ، ولكنها ابت ان تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد ، واندفعت الى قدرها المقدور بكل عواطفها . اندفعت تلقى بنفسها بين ذراعى رجل يرى المرأة لعبة بين يديه . واذا انت سألته عن هذا ، لقال لك ضاحكا ان الزا شابة صغيرة ، وانها لن تلبث ان تفيق من صدمة هذا الحب ، لكى تبحث عن حب آخر ، وهكذا . ذلك هو أمياس ، وتلك هى آراؤه عن الحب وعن النساء

وصمت بوارو فترة وجيزة ، قبل أن يردف قائلا :

ـ ولكن زوجته ، كارولين ، كانت المرأة الوحيدة التي يحبها من صميم قلبه ، ولا يطيق الانفصال عنها الى الابد ، وكان حبـــه لهـا يزداد ، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه ، وصبرت على تصرفاته ، وقدرت الدوافع التي تجعله يجرى بين الحين والآخر وراء هـذه المرأة أو تلك ، ثم يعود اليها نادما مستغفرا ! وكان أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها ، كان يعرف انها ، لاجله ، ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتي يفرغ من رسم اللوحة ، وهذا هو سر ثورته وغضبه على الزا حين أحرجت مركزه بحديثها عن الزواج أمام زوجته . لقد وجد نفسه فجأة في أصيل اليوم السابق على المأساة في موقف لا يحسد عليه ، وجد نفسه بين الزا وزوجته . فهو اذا أغضب الزا وطردها من القصر ، فانه لايستطيع أن يتم اللوحة ، ومن ثم تضيع كل جهوده فيهـا سدى .. اذن ماذا يفعل ؟ لم يكن أمامه الا انه يعتمد على تسـامح زوجته . والا انه يؤلها مرة اخرى ، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين ، هكذا كان أمياس يفكر ، وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة

ولكنه ، في مساء اليوم نفسه ، شعر بالقلق على كارولين ، لا على الزا ، ولعله ذهب الى غرفتها في المساء ليوضح لها الامر ، فأبت أن تحدثه ... وأيا كان الامر ، فانه بعد ليلة من القلق والهم ، انفرد بها في غرفة المكتبة عقب طعام الافطار ، وصـارحها بالحقيقـة ... صارحها بأنه لم يعد يحب الزا ، وأن شعـوره نحوها لايزيد عن شعوره نحو النساء الاخريات ، مجرد نزوة عابرة ، وأنه لن يتردد في ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحـة ، أي بعد يوم أو اثنين على الاكثر . ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة في نفور وغضب : « هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف أقتلك يوما » ان هذه العبارة قد وضعت الزا في مستوى « نسـائه » السابقات . ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه ، مشمئزة من تصرفاته ، تعتقد أنه اشتد في قسوته على الفتاة الغافلة ، ولمـا رآها فيليب بعد ذلك في الصالة ، أعنى كارولين ، وسمعها تقول لنفسها في ذهـول : يا للقسوة » فانما كانت تعبر عن قسوة أمياس على الزا ، لاعليها هي

اما عن كريل ، فقد غادر غرفة المكتبة ، ورأى الزا في الشرفة مع

فيليب بليك ، فطلب منها ــ بخشونة ــ أن تمضي معه الى حديقة البحر لتجلس في الوضع المطلوب ، حتى يفرغ من اتمام اللوحة ، ولكن الشيء الذى لم يكن يعرفه هو أن الزا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج ، وأنها سمعت وعرفت كل شيء · وان ما كتبته في تقريرها وما تحدثت به فى شهادتها أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها



ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلا :

ــ ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التى أصابتها حين تبينت الحقيقة ·· حقيقة شعور أمياس نحوها ·· وكانت في اليوم السابق على المأساة ، أعني عند زيارتها مع الجميع لبيت ميرديث بليك ، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة ، بعد أن فرغ هو من محاضرته عن هوايته · وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفا يحادثها وظهره الى باب الغرفة ، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهي تختلس سم الكونين من الزجاجة ، وقد اعترفت هي بذلك ، اعترفت أنها رات كارولين وهى تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين ·· ولكنها لم تقل شيئا لاحد فى تلك الليلة ، ولعلها لم تكن تعرف ماذا اخذت كارولين ، أو لعلها عرفت ، ولكنها ظنت أن كارولين أخذت هذا السم لتنتحر به ، وأيا كان الامر ، فقد فكرت فى هذا السم وهي جالسة تنصت الى الحقيقة تحت نافذة المكتبة · فلما طلب منها أمياس ، بعد ذلك ، أن تذهب معه الى حديقة البحر ، استأذنت منه قائلة انها ستصعد لتأتي بصديريتها الصوفية لتحتمي بها من برد هواء البحر · وقد صعدت لا لتأتي بالصديرية فحسب ، وانما لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين ، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذى تخفى فيه غيرهن من النساء بعض الاشياء ، وهكذا لم تجد الزا صعوبة في العثور على زجاجة الكونين فى درج خزانة ملابس كارولين ، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاجة ، أخذت الكمية بطريقة « الشفط » فى خزان قلم حبر ، ثم هبطت مسرعة الى أمياس ، وذهبت معه الى حديقة البحر ، وانتهزت أول فرصة ، ووضعت السم

فى كأس البيرة ـ الساخنة ـ دون أن يراها ، وشرب هو الكأس كعادته فى جرعة واحدة

وفى نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجها على الزا ، فلما رأتها تعود الى القصر لتحضر معطفها الصوفى الاحمر، أسرعت الى زوجها فى حديقة البحر ، وراحت تعنفه على قسوته ، وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة ، وأن يقطع صلته بها تدريجيا حتى لا يصدمها وهى فى أول عهدها بالحياة ، ولكنه أجاب عليها بعنف ، بأن « كل شىء قد انتهى .. وانها لابد أن ترحل فى أسرع وقت » ، وفى تلك اللحظة سمعا وقع أقدام تقترب ، أقدام فيليب وميرديث بليك ، فاضطربت كارولين ، وخرجت اليهما تحاول الابتسام قائلة انها كانت تتناقش مع زوجها فى موضوع الحاق أنجيلا بالمدرسة . وبطبيعة الحال ظن الاخوان ، ولهما العذر ، أن المناقشة أو المشاجرة ، كانت خاصة بموضوع انجيلا ، وأن قول أمياس عن انتهاء كل شىء ، والرحيل فى أسرع وقت ، كان يقصد به انجيلا لا الزا طبعا . وعندئذ أقبلت الزا وفى يدها المعطف الصوفى الاحمر، هادئة ، باسمة ، واستأنفت جلستها فى الوضع المناسب



وصمت بوارو برهة ليلتقط انفاسه ، قبل أن يعود الى الحديث قائلا :

ــ كانت الزا تعتمد ، ولا شك ، على أن تهمة قتل أمياس سوف تقع فى النهاية على كاهل كارولين ، وذلك عندما يعثر المسئولون على زجاجة الكونين فى غرفتها وعليها بصمات اصابعها . والعجيب أن كارولين ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة البيرة المثلوجة ، وصبت منها فى كأس زوجها . وجرع هو الكأس دفعة واحدة كعادته ثم تأفف وقال : « كل شىء فى فمى اليوم مر ...» . فما معنى هذا ؟ معناه الواضح أن شيئا آخر كان مرا فى فمه قبل هذه الكأس، وماذا يكون هذا الشىء غير الكأس الاولى التى قدمتها الزا له مسممة بالكونين ، وقد جعل هذا السم ــ البطىء المفعول كما قال ميرديث ــ لسان أمياس مرا ، وأخذ كل شىء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر بليك فى تقريره أن أمياس كان يترنح قليلا وهو يعود للعمل بعد عودة الزا بالمعطف الاحمر ، وظن أنه أسرف فى الشرب ، والتمس له العذر



ثم أشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل واردف قائلا : « انظروا الى هاتين العينين ، وتأملوهما بامعان ... لقد رسم عيني قاتلة ! » ...

بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح ، فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسرى في جسمه ...

وهكذا جلست الزا في الوضع الخاص على سور الحديقة ، ولكي تجعله لا يشك في الامر الا بعد فوات الفرصة ، راحت تثرثر معه في مرح مصطنع عن المستقبل ، وعن شهر العسل في أسبانيا ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوى أن تشاهدها معه ، وقد سمع ميرديث طرفا من هذا الحديث وهو جالس في الهضبة المشرفة على الحديقة .. وقد لوحت الزا اليه بذراعها ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها

أما أمياس كريل ، الذى كان يكره الاعتراف بالمرض ، فقد ظل يواصل الرسم بعناد برغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان ، كما قال ، يظن الامر بوادر روماتزم عضلي .. فلمادق جرس الغداء ، استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهالكا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث اصبح عاجزا عن طلب النجدة .. وأعتقد أن الزا في تلك اللحظات ، أسرعت وافرغت بقية قطرات السم من خزانة قلم الحبر في كاس البيرة ، وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل الى باب الحديقة لكي يصحبها معه الى القصر للغداء .. وقد تخلصت من خزان قلم الحبر اثناء سيرها في الممر حيث داست عليه بقدمها .. أما أمياس ، فنحن لا ندرى ماذا كان شعوره في اللحظات الاخيرة : هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت اصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللمسات الاخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة

ثم اشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة المعمل ، وأردف قائلا :

ــ انظروا الى هاتين العينين ، وتأملوهما بامعان .. لسوف ترون أن أمياس رسمهما بصدق غريزى ، رسمهما وهو لا يشعر . رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو ... يموت !

النهاية

في ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه الزا جرير ، التى اصبحت الليدى ديتشام

وتململت هي في مكانها قليلا ، ثم قالت لبوارو :

ـ دعهم يخرجوا جميعا ...

وظلت في مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا بوارو الذي تبادل نظرات خاصة مع الاخرين ، فيليب وميرديث بليك

وأخيرا قالت :

ـ انك بارع ... بارع جدا يامسيو بوارو ، أليس كذلك ؟

ولم يجب بوارو ... وعادت هي تقول :

ـ وماذا تنوى أن تفعل بعد ذلك ؟

ـ اخبريني أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعلي ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ انني لا أدرى ، ان حياتي في الواقع انتهت في تلك اللحظة التي سمعت فيها الحقيقة من أمياس وهو يتحدث مع كارولين في غرفة المكتبة . في تلك اللحظة ، احسست كأن شيئا في أعماق نفسي قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل عواطفي الانسانية أو الحيوانية ، اذا شئت ، الى عاطفة واحدة ... هي الحقد والرغبة في الانتقام ، وكنت قد رأيت كارولين وهي تأخذ كمية من سم الكونين من هذه الغرفة ، وخطر لي في أول الامر أنها قررت الانتحار .. ومن ثم لم اشأ أن اقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ أليس من الافضل لى ، ولأمياس ، ان تنتحر وتفسح لنا الطريق .. هكذا حدثت نفسي ، ولكني حين سمعته يقول لها في صباح اليوم التالى ، انه لم يعد يهتم بأمرى في قليل أو كثير ، وأنه سيطردني من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ،

تذكرت فعلا هذا السم .. تذكرته وأنا التهب بالحقد عليه.. وعليها هي التي رثت لحالي ، وحزنت من أجلي ، واتهمت زوجها بالقسوة علي .. ان أسعد لحظة في حياتي ، هي اللحظة التي كنت أراه فيها وهو يموت تدريجيا . لقد وضعت السم في كأسه الاولى، تماما كما ذكرت انت ، ووضعت بقاياه في الكأس التي تبقت فيها قطرات من البيرة المثلوجة التي حملتها اليه كارولين ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة في حبل المشنقة ، ولكن الشيء الذي لم أتبينه فيما بعد ، هو أنني قتلت نفسي أيضا بهذه الجريمة التي ارتكبتها ! يقال ان بعض القتلة يعيشون هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكني لم أكن من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة امياس في لحظاته الاخيرة لاتفارق ذهني ، كنت أعيش وأنا ميتة حية اذا صح هذا التعبير .. ولست أرجو منك الآن ، الا أن تتركني حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت، والجميع ، كل شيء ...

ونهضت كالشبح ، وسارت خارج الغرفة ، ومرت في طريقها بشاب وفتاة ، بجون واتيري ، وكارلا ... باثنين بدآ يشعران بجمال الحياة

وفي الصباح ، فوجيء قراء الصحف ، في طول البلاد وعرضها بنبأ انتحار الليدي الزا ديتشام ، وباعتراف شامل ، يحمل توقيعها، عن الجريمة التي ارتكبتها ... وقد ختمت اعترافها بقولها :

« لقد غفلت عني عدالة الارض ، ولكن بعد ستة عشر عاما،أمسكت بتلابيبي عدالة السماء .. حقا ان عين الله الساهرة ، لاتغفل ، ولا تنام »

القصص العالمية للجميع

الفرسان الثلاثة "جزئين"	اسكندر ديماس
الكونت دي مونت كريستو	″
ذهب مع الريح "جزئين"	مارغريت ميتشل
رجال ونساء .. وحب	جون شتاينبك
ليلة غرام	سومرست موم
كنت جاسوساً	″
غادة الكاميليا	مارسيل موريت
جريمة في الريفيرا	جورج سيمنون
الأرض الطيبة	بيرل باك
عذارى المعبد	″
ايفانهو "أو الفارس الأسود"	سير والتر سكوت
دافيد كوبر فيلد	شارلز ديكنز
أحدب نوتردام	فيكتور هيجو
الام فرتر	يوهان جوته
العجوز والبحر	ارنست همنغواي
سوف تشرق الشمس	″
الكأس الأخيرة	اجاثا كريستي
عدالة السماء	″
القاتل الخفي	″
الرجل الغامض	″
غادة طيبة	″
عذراء وثلاثة رجال	جيمس هيلتون

مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية — حلب [illegible]